الميزاب الذهبي

ALTINOLUK

مجلة تصدر كل شهرين-العدد الثالث والعشرون (نوفمبر - كانون الأول ٢٠١٧)

بذور الخير

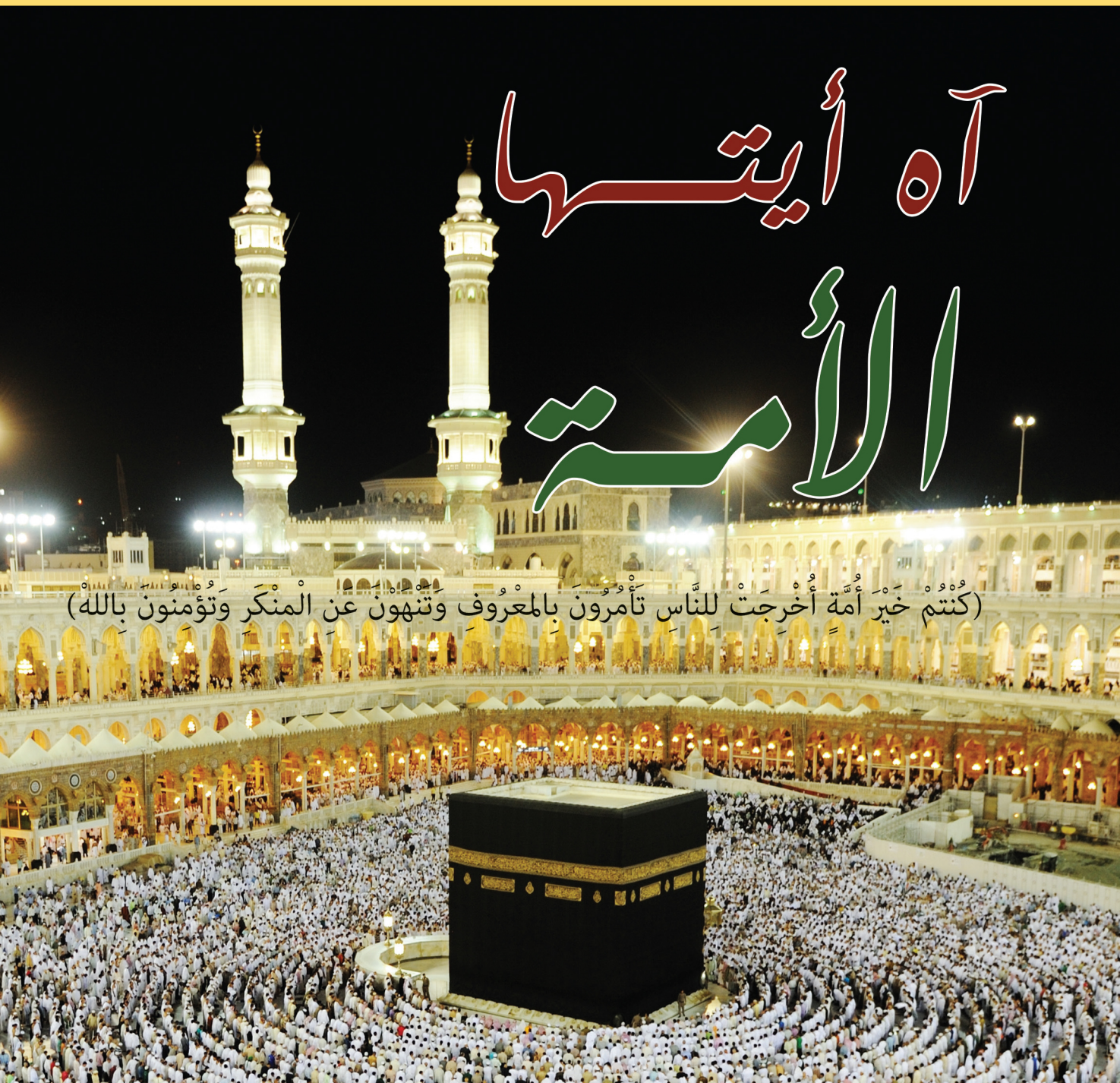

آه أيتهــا الأمــة

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عنِ الْمنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة القرآء:

إن المتأمل في واقع الأمة اليوم، يتبدى له بكل وضوح ما يعانيه المسلمون من تأخر وتخلف، وإحساس بالذلة والهوان، ونظرة الصَّغار التي صار يَنظر بها غيرهم إليهم.

إن الأصل في المسلمين أنهم أهل عزة وإباء وشرف، لأن معهم كتابَ الله تعالى، الذي يخاطبهم ويقول:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)

ومعهم سنةَ رسوله ﷺ، الذي قال:

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي» (الموطأ: ٣٢)

فلا عزة للمسلمين إلا بإيمانهم بالله ﷻ، فيوم أن يؤمنوا بالله ويتمسكوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ فإنهم يكونون أعز أهل الأرض، وما وصل المسلمون إلى ما وصلوا إليه اليوم إلا عند أن تخلوا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وصدر هذه الأمة خير شاهد على هذا؛ فإنهم عندما تمسكوا بالوحيين دانت لهم الدنيا من شرقها إلى غربها، وخضعت لهم الأمم عن بكرة أبيها، ولما تركنا نحن مصدر عزتنا وقوتنا وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من ذل وضعف وهوان وهزيمة.

ويقول الفاروق عمر رضي الله عنه:

(نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)

فهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم، حتى صارت الأمة الإسلامية هي القائدة وهي الرائدة بين الأمم، وحتى صارت الأمة الإسلامية هي التي تقول الكلمة فيسمع لها الناس في مشارق الأرض ومغاربها. أما اليوم فقد انعكست -ولا حول ولا قوة إلا بالله- الأمور، وأصبح الكفار يتكلمون فنسمع، وأصبح أعداء الإسلام يحاربوننا بالغزو الفكري، وبالأفكار الجاهلية، وبالتبشير وغيره، ونحن ننتظر! والسؤال: لماذا تغيرت الصورة؟ والجواب: تغيرت الصورة لأننا حتى الآن ما اعتصمنا بالله وبهذا الإيمان حق الاعتصام، لأننا حتى الآن لا يزال فينا ويوجد بيننا ومن يتكلم بلغتنا من يريد أن يبحث عن مكامن العزة في القوميات الجاهلية والقوانين الجاهلية والأنظمة الجاهلية، ويريد أن يجلبها من الشرق ومن الغرب، فهل لقوم بينهم من يقول مثل هذا الكلام أن تكون لهم عزة؟ لا.

المحتويات

٣

آه أيتها الأمة

أحمد طاش غَتيرن

١٠

العزم على التحول إلى الأمة العزيزة

د. آدم أركول

٢٨

التصوف -٢-

الأستاذ: عثمان نوري طوبّاش

٣٦

المؤمن لا ينقطع عمله

نور الدين يلدز

كلمة التحرير	١	الحب في الله ﷻ	٢٧
آه أيتها الأمة	٣	التصوف -٢-	٢٨
سكينة قول إنا لله	٨	المؤمن لا ينقطع عمله	٣٦
العزم على التحول إلى الأمة العزيزة	١٠	أسير العبودية	٣٩
التوحيد	١٣	مسؤولية الرجل بشأن مظهر المرأة	٤٠
التوبة	١٤	نموذجية أيوب عليه السلام	٤٣
المحبة المتجه إلى الحق طريقها إلى العباد	١٦	الكلمات التي يختارها المعلم	٤٤
اتق المحارم	١٩	عروة بن مسعود رضي الله عنه	٤٦
دين العبودية لمولانا ﷻ	٢٢	صاحب يس	٤٩
في سبيل النجاة في الدنيا والآخرة	٢٦	السر	٥٠
		اللفظ والمعنى	٥٤

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل شهرين

العدد الثالث والعشرون

(نوفمبر- كانون الأوّل ٢٠١٧)

رئيس التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدمير

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

أ. ابراهيم الحسن

التصميم والتنضيد والاخراج الفني

حسام يوسف

إدارة المجلة.

İkitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

دار النشر والطباعة

İkitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري
يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

آه أيتها الأمة

أحمد طاش غَتيرن

أردت الكتابة عن الأمة فجلست أفكر. ثم نظرت إلى ما كتبته فيما مضى من الأيام، فوجدت أني كتبت في مجلة آلتن أولوك "دعاء لأجل الأمة". فقرأته، فرأيت أني قد عبرت عن كل شيءٍ هناك. فما كان مني إلا أن أعدت نشره تحت عنوان **"آه أيتها الأمة"**..

يبدأ عارف نهاد آسيا (Arif Nihat Asya) مطلع قصيدته باستذكار أيام عزة الإسلام، فيقول في أولى الأبيات:

"كانت الرمال سجادة للصلاة...
وكانت أصوات الأذان ترتفع عبر مختلف العصور،
والبلدان والديار لتلتقي في السماء!

كانت المساجد مؤمنة، والمنابر مؤمنة...
فكانت القباب تفيض بالتكبيرات،
لترد عليها همهمات "آمين"...

كانت مناجاتنا وأدعيتنا في الليالي المباركة،
أدعية لا ترد...
وكانت الليالي تضاء بالقناديل المتلألئة في كل مكان...
فكل من جاء إلى بابك يا محمد ـ من قريب أو بعيد ـ عاد مؤمناً...

كانت البسملة بركة رغيف خبزنا،
فكانت الأمة العزيزة في العالمين أمة محمد".

أجل؛ لقد "كانت الأمة العزيزة في العالمين أمة محمد".

فربنا ﷻ الذي هو مصدر العزة يخبرنا منذ عصور فيقول:

﴿وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)

فبعد أن أعلن البيان الإلهي "محمد رسول الله" رسم حوله بقوله "والذين معه" لوحة رائعة الجمال والعظمة وهي لوحة "أمة محمد". وكانت خطوط تلك اللوحة العظيمة بالشكل الآتي:

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ الله وَرِضْوَانًا، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩)

إنّ الكلام الإلهي قد وضع أمام المؤمنين هدف "إنشاء أمة". والأمة كانت تعني بإحدى معانيها "الجماعة الرئيسية الرائدة، السباقة، القيادية". فقد تم تجهيز وتوجيه أمة الإسلام لتكون قائدة للإنسانية في الخير والصلاح، ومحاربة الشرور والمنكرات. فها هي الآية القرآنية تقول:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

إن قيمة ومكانة هذه الأمة التي أنشأها رسول الله ﷺ والتي يراد لها أن تكون في المستقبل أيضاً على ما كانت عليه، إن مكانتها عند الحق ﷻ هي:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾ (آل عمران: ١١٠)

إن الأمة هي الفئة أو الجماعة الإنسانية التي تمسك بيد رسول الله عليه الصلاة والسلام. وتسير على أثره، وترتسّم خطاه، وتتخلق بأخلاقه، وتُحاك وتُنسج من نسيج الإسلام.

فالأقوام والشعوب المختلفة، والألوان والألسنة المتنوعة تجتمع كلها تحت قبة "أمة الإسلام" العالمية. فالأمة الاسلامية تعني أسساً انسانية عالميةً شاملاً لكل الأزمنة والأوقات والأقطار والبلدان.

هناك المئات من الألوان والأعراق والألسن المختلفة التي تلتقي وتجتمع على صعيد واحد في حضرة الخالق ﷻ. وقد تعرت من كل الخصال والأوصاف الدنيوية، وتخضبت بمشاعر العبودية، وارتبطت قلوبهم ببعضهم فتصبح وكأنها صورة مصغرة عن أمة كبيرة في العالم والتي تسود بينها الرحمة، أمة سباقة إلى الخير، ومناعة للشر.

فعلى سبيل المثال إن الأجواء التي تسود في عرفات خلال موسم الحج هي نوع من لقاء الأمة الواحدة.

وهنا يرد سؤال العصر وهو:

تُرى هل أمة الإسلام اليوم تمثل تلك "الأمة العزيزة" التي رسمها البيان الإلهي، ونسج رداءها رسول الله ﷺ بيديه الشريفتين المباركتين، وإلى أي مدى تعكس ألوان خطوطها؟

ها هي الآلام والأوجاع ظاهرة للعيان.

ومظاهر الظلم والقهر بادية أمام الأعين كالشمس في كبد السماء.

وألوان الحرمان والذل لا تحتاج إلى من يشير إليها.

فكما يقول عارف نهاد آسيا في قصيدته: هناك طوابير من أبي جهل تتجول وتتنقل في العالم.

هذا مع أن أمة الإسلام كانت قد قضت على أبي جهل في عصر السعادة... فمن أين جاء أبو جهل، وما الذي جرى لأمة الإسلام حتى ظهر أبو جهل من جديد؟

عندما ننظر إلى دار الإسلام بتأمل فنجد الأعلام الأجنبية المختلفة ترفرف في سمائها، ومظاهر الظلم، والاحتلال، والهيمنة تفرض نفسها عليها فحينئذ ندرك أن شيئاً ما قد حدث ويحدث ل "عزتنا".

فلو كانت الأمة أمة لما مات طفل صغير مسلم جوعاً في الصومال، ولما كان هناك حاكم في "دولة مسلمة" مجاورة يصنع عرشاً من الذهب. ولو كانت الأمة أمة لما كان العالم الإسلامي بأكمله يتقلب اليوم في مثل هذه الآلام والمصائب.

ينبغي أن تكون الأمة أمة.

ينبغي أن تكون بصورة تليق برسول الله ﷺ.

ينبغي أن تُنسج بآيات القرآن الكريم.

ينبغي أن تستعيد عزتها الضائعة.

ينبغي أن تصل إلى قوام يمثل شخصيتها الإسلامية.

ولأجل ذلك يجب البدء بعملية إعادة بنائها فرداً فرداً، وبلداً بلداً، ودولة دولة.

فهذا امتحاننا ومقياس إيماننا.

أن نصبح أمة يعني أن ننسج لب إسلامنا وفق معايير شخصية رسول الله ﷺ. فهل لنا أن ندعي على وضعنا الحالي أننا "أمة محمد" ونحن متخلون عن هذا الأمر ومتنكبون عن الطريق الذي خطه لنا؟

وقد سئل عبد الحكيم أرواسي ، فقيل له:

سيدي؛ متى ستتخلص أمة محمد مما هي فيه؟

فأجاب: أرني أمة محمد، لأريك خلاصها!

إن الآلام والمصائب التي تحدث على ساحة الأمة نابعة من الفجوة التي حدثت بيننا وبين رسول الله ﷺ، وإن الخلاص هو بردم الفجوة والاقتراب منه، والتمازج معه. أي هو بالتحول إلى أمة حقيقية...

حتماً يجب اللجوء إلى الدعاء والتضرع.

فالدعاء يعني الالتجاء إلى لطف ربنا ﷻ، وعونه، ورحمته.

فلا غنى لنا عن الدعاء.

فنحن كأمة بحاجة ماسة ودائمة إلى رحمة الرحمن، ولطفه، وإحسانه، وعونه، ونصرته.

فإن لم نكن نعاني من أي شيء فإننا نتنفس بلطفه وإحسانه، لذا ينبغي أن تكون قلوبنا متعلقة به ومربوطة على عتبة بابه.

فما بالك إذا كنا أمة تعاني من مختلف ألوان الآلام والأوجاع والمصائب! فينبغي والحال هذه أن نكون أكثر تمرغاً على أعتابه، وأكثر قرعاً لباب كرمه ورحمته.

فعلينا أولاً أن نشمر عن سواعدنا من أجل الدعاء الفعلي.

والدعاء يعني التفرغ لمحاولة إعادة بناء أنفسنا.

إن الحرية أمر ضروري في الإسلام وحاجة لا يمكن التخلي عنها بالنسبة للمسلمين. وإذا رأينا المسلمين يواجهون مشكلة الحرية في البلاد الإسلامية فهذا إشارة إلى وجود مشكلة في هويتنا نحن "الأمة العزيزة".

وإعادة إنشاء أنفسنا فرداً فرداً، وبلداً بلداً، ودولة دولة.

الإمساك بجذور كل ما ضاع منا وكسبها والحصول عليها من جديد.

فعلينا أن نبحث عن أبصارنا، وعن وعينا وبصائرنا، وعن قلوبنا، وعن أوطاننا، وعن بلداننا ودولنا إن كنا قد فقدناها وأضعناها حتى نعثر عليها ونستعيدها، لنعيد ترتيبها وإنشائها محلياً من جديد، وبالصورة التي يريدها الخالق ﷻ.

علينا إعادة بناء المساجد والجوامع، والمنابر، والصلوات، والصيام، والحج، والزكاة، والسجود، والركوع، والقيام، والأئمة، والمؤذنين، والأمهات، والآباء، والشباب، والشيوخ... إعادة تنشئة أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ، وعمار، وفاطمة، وخديجة، وعائشة، ونسيبة.

وبعد الدعاء الفعلي ينبغي أن نوجه قلوبنا نحو الرحمن جل جلاله...

ونشحن قلوبنا بالتضرع، والتوسل، والالتجاء، والتذلل، والبكاء والنحيب...

مثل بكاء ونواح الأمهات الصوماليات اللاتي اضطررن إلى ترك أطفالهن وفلذات أكبادهن في الطرقات وبين شعاب الجبال والوديان...

مثل صرخات الأمهات الحوامل اللاتي بُقرت بطونهن في البوسنة والهرسك...

مثل صرخات أهل غزة الذين سويت منازلهم بالأرض نتيجة القصف الهمجي المدمر من العدو الغاشم...

مثل صرخات المدنيين الأبرياء الذين قصفوا ويقصفوا بأحدث وأخطر الأسلحة في أفغانستان.

مثل صرخات الشعوب التي تذبح على أيدي الأنظمة الحاكمة في سوريا، وليبيا، ومصر...

ينبغي أن نناجي ونتضرع بالدعاء الذي جاء في حديث رسول الله ﷺ. فقد قال النبي ﷺ:

"ما من دعاء أحب إلى الله من أن يقول العبد: اللهم ارحم أمة محمد رحمة عامة". (علي المتقي، رقم: ٣٢١٢، ٣٧٠٢)

وينبغي علينا أن نتضرع مثل أولياء الله الذين انطلقوا من دعاء النبي ﷺ هذا وناجوا من قلوبهم قائلين:

اللهم! اغفر لأمة محمد!

اللهم! ارحم أمة محمد!

اللهم! أعن أمة محمد وانصرهم على من عاداهم!

اللهم! احفظ أمة محمد!

اللهم! اجمع شمل أمة محمد واجعلهم جسداً واحداً!

اللهم! أصلح أمة محمد!

"يا رب لا تسلط علينا من لا يرحمنا!".

لقد بدأنا مقالنا بمقتطف من قصيدة عارف نهاد آسيا، وننهيه بدعوة "انهض" التي وجهها المفكر الباكستاني محمد إقبال للأمة الإسلامية.

انهض

استيقظ أيها البرعم الذي غرق في نوم عميق، استيقظ وانهض؛

افتح عينيك كالنرجس وانظر حولك؛

انظر؛ فقد نهب الكدر قصر صفائنا؛

استيقظ فالطيور تغرد!

وقد أحرقت صرخاتها النارية كل شيءٍ في الأنحاء.

ففي كل ناحية صراخ ونواح...

استيقظ من النوم العميق،

استيقظ من النوم العميق!

استيقظ من النوم العميق!

وانظر إلى حال الشرق،

فرماده وصل إلى عنان السماء...

إنه صامت، مثل أنين الغريق...

فلا أثر لهذا الصراخ الضائع.

وفي كل ذرة من ذرات هذه الأرض مضطرب وشريد.

فأعلن الثورة من الهند؛ ومن سمرقند،

ومن العراق، ومن همذان؛

أرنا الحياة، وانهض من سباتك..

استيقظ من النوم العميق،

استيقظ من النوم العميق!

استيقظ من النوم العميق!

وانظر إنه وقت السحر، وقد ارتفعت الشمس في الأفق!

انظر فقد علق السَّحر في أذنه حلقاً دمويّةً

انهض فقد خرجت القوافل من الصحارى، والجبال!...

يا أيتها العين التي تبصرين الدنيا، وتدركين الحقيقة!

استيقظي وانظري إلى العالم بأي حال صار!

استيقظي من النوم العميق،

استيقظي من النوم العميق!

استيقظي من النوم العميق!

أي ساحل أنت؟ فالسهول ساكنة ثابتة!

هل يمكن أن يكون البحر هكذا، لا يزداد ولا ينقص.

فلا أمواج هائجة، ولا تماسيح متلاحمة،

هل يمكن أن يكون البحر هكذا، فهذا البحر لا بد أن يتصدع من صدره.

صر موجة تصل برأسها إلى السماء، وحلق في الآفاق!

استيقظ من النوم العميق،

استيقظ من النوم العميق!

استيقظ من النوم العميق!

لقد أُودعت سُنةً الحق الأزلية أمانة لديك.

فإن كان الله موجوداً فأنت مظهر رحمته ومظهر عقابه!

مظهر ملكه، ومظهر قدرته!

أنت عبده المخلوق من التراب أيها الإنسان.

ولكن المكان أنت، والزمان أنت أيضاً.

فاشرب شراب سر الوصول إلى الحق وانزف!

اقفز من حفرة الشبهات، وأنقذ نفسك!

فماذا تنتظر! هيا انطلق!

فاستيقظ من النوم العميق،

استيقظ من النوم العميق!

استيقظ من النوم العميق!

محمد إقبال

المصدر: مختارات من زبور عجم. الترجمة من الفارسية: البروفسور الدكتور: علي نهاد تارلان – مطبوعات هلال، اسطنبول ١٩٦٤.

يوميات

القرآن الكريم

جعفر دورموش

سكينة قول "إنا لله"

قال الله ﷻ:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٦)

تشير هذه الآيات المباركة في أولها إلى الأمور الآتية: الإنسان خاضع في الحياة الدنيا لامتحان العبودية والتسليم. وهذا الامتحان يكون في بعض الأحيان على شكل التعرض للخوف والجوع، وأحياناً يكون بنقص في الأموال والأنفس والثمرات والمحاصيل. وإنّ نجاح وفلاح العبد مرتبط بإدراكه وهو ينتقل من حال إلى أخرى أنه خاضع للمراقبة والامتحان. وشعوره وإحساسه بأن المعطي والمانع هو الله ﷻ. مرتبط بعلمه أن من جملة حكمه تعالى هو أخذه ما أعطاه. حيث ورد في الآية تبشير "وبشر" للذين يتعاملون مع هذه التغييرات والتقلبات في الأحوال بوعي، ويدركون حقائقها.

ويتم في الآية الأخرى بيان حال المستحقين لتلك البشارة. فتخبر بأنهم الذين إذا أصابتهم مصيبة وحل عليهم بلاء يقولون: "إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ". وتشير إلى أنهم إذا ما تلقوا خبر وفاة عزيز عليهم قالوا هذه العبارة بكل رضا وتسليم.

والآن نريد أن نرى ما مدى تطبيقنا لهذه الجملة في تقلبات أحوال حياتنا. نريد أن نتحقق من مدى تهيّؤ قلوبنا للسكينة التي تحدثها هذه الآية الكريمة عندما نتعرض لمصيبة كبيرة مثل الموت.

فعندما يقول الإنسان "إنا لله وإنا إليه راجعون" فإنه يكون قد أقر بقوله "إنا لله" أن مليكة كل شيء لله تعالى، وأقر بقوله "وإنا إليه راجعون" أن نفسه معرضة للهلاك ومحكوم عليها بالموت لا محالة، فقول هذه العبارة يُعد أعظم مصدر للمواساة لحظة وقوع المصيبة. فقد قال سعيد بن جبير ﵁:

" ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة، يعني: الاسترجاع (أي: إنا لله وإنا إليه راجعون)".

ويمكن تلخيص فوائد ترديد الآية الكريمة التي نتحدث عنها عند نزول المصائب وفق ما يأتي:

١- إن الانشغال بترديد هذه العبارة يحول دون صدور أقوال وعبارات غير مناسبة ممن تعرض للمصيبة في الوهلة الأولى.

٢- مواساة قلب الذي تعرض للبلاء، وتخفيف حزنه وألمه.

٣- قطع الطريق أمام وسوسة الشيطان للمصاب بالتلفظ بعبارات غير مناسبة.

٤- يدفع تلفظ المصاب بهذه العبارة السامعين إلى الاقتداء به وتكرارها.

٥- النطق بهذه العبارة باللسان يولد أفكاراً إيجابية وحسنة في قلب القائل، ويحمله على الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره.

إلا أن الاكتفاء بقول "إنا لله... "وترديد "آية الاسترجاع" بمجرد اللسان فقط لا يكفي لاعتبار الإنسان من الصابرين. وإنما يجب إلى جانب ذلك استذكار غاية الخلق، والخضوع التام لتكاليف الله تعالى، والرضا والتسليم القلبي بقضائه وقدره بشأن كل ما أعطاه، ومنعه، وأخذه. حيث أن أخبار الوفاة التي نتلقاها لا يمكن أن تكون دائماً من قبيل "وفيات اعتيادية". وليس هناك دائماً إمكانية ليواسي الإنسان نفسه بقوله "كان المتوفي قد اكتمل عمره، ولم يكن داؤه يستجيب للعلاج والدواء، فمات وارتاح من المعاناة والألم". فمن الحقائق الجلية في الحياة أن هناك الكثير من حالات الوفاة غير المتوقعة التي تحدث فجأة ودون سابق إنذار. ولهذا فإن الأمر الأساسي هو النطق بآية "إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" التي من شأنها تحضيرنا للقبول بحقيقة المصيبة المرّة التي نتعرض لها.

إن ما يدعو للأسف أن نرى في عصرنا هذا الكثير من المشاهد والصور التي لا تليق بالإسلام. حيث نشاهد أن هناك تصنيفاً لأخبار الوفاة التي تعلن في وسائل الإعلام. فينشر خبر موت المشاهير في الصحف والمجلات مترافقاً مع هالة من الأبهة والتعظيم والاهتمام، بينما يتم التعامل مع خبر وفاة العوام بلامبالاة، ولا يكاد يذكر. وتُحجب حادثة الموت الذي يُعد "الواعظ الصامت" بالمؤثرات والمشاهد التصويرية. والكل يضع احتمالاً لموت الآخرين، إلا أنه لا أحد يتوقعه لنفسه أو لأقربائه. وأما عند تلقى مثل هذا الخبر فترى وتسمع عبارات وكلمات تصل إلى حد الاعتراض والعصيان. وإنك تبحث حولك عن حرارة الدموع المتدفقة من القلب، وعن سكينة الأدعية الصادرة من الشفاه والمفعمة بالرضا والتسليم فلا تكاد تراها.

مع أن الموت هو القدر الحتمي لكافة الأحياء والذي لا يتغير ولا يستثني أحداً أبداً. وإنه قريب دائماً من الجميع بقدر النفس الذي يتنفسه. ولهذا ينبغي أن تكون ردة فعل المسلم الذي يتلقى خبر وفاة عزيز عليه تعبر عن نضج وكمال يليق بالمسلم الحق؛ فلا يقوم بتصرفات وأفعال هائجة غير متزنة، ولا يتلفظ بعبارات نابية غير لائقة. وإنما ينبغي أن يحافظ على رباطة جأشه، ويستعيد توازنه في الحال ليعلن أن "الحكم لله". ينبغي أن يتذكر أن المتوفي إنما كان مسافراً استظل بظل شجرة ثم تركها وارتحل، وأن الحياة إنما حياة الآخرة وأن الموت أجل فيذكر قول الله تعالى:

﴿لَنْ يُؤَخِّرَ الله نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون: ١١)

ويقرأ قول الله تعالى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الموتُ...﴾ (النساء: ٧٨). عليه الإصغاء لمثل هذه الآيات والأحاديث التي تذكرنا أن الحياة الدنيا عبارة عن مرحلة مؤقتة سوف ننتقل منها. واللجوء إلى إقليم الدين المبين هو الذي يزود الإنسان بالتسليم فيتهذب سلوكه و تستقيم أفعاله.

فمن فعل ذلك فقد فعل ما هو لائق وجدير بالمؤمن الكامل.

إن "آية الاسترجاع" تشير إلى شفاء القلوب الحزينة والكئيبة عن طريق قراءتها عند الحاجة.

العزم على التحول إلى الأمة العزيزة

د. آدم أركول

يقول ربنا عز وجل:

﴿وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)

أجل، إن هذه الأمة فئة سامية متكونة من عباد أعزاء لرب عزيز، وأمة عزيزة لنبي عزيز.

ويصف ربنا عز وجل هذه الأمة الكريمة في آية أخرى فيقول:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

فإن كان الحال كذلك، فينبغي أن لا تسقط هذه الأمة في وديان المذلة أبداً، وإنما ينبغي أن تدرك عزتها، وتحافظ عليها دائماً.

ولذلك ينبغي أولاً البحث عن الإجابة على السؤال التالي: كيف هي الأمة التي تُعد خير أمة عند الله تعالى؟

إن القرآن الكريم يقدم في آيات مختلفة الإطار الذي يجب أن تكون عليه هذه الأمة. وسوف نحاول في هذا المقال الإشارة إلى الخطوط الرئيسية لهذا الإطار.

إن التاريخ بمثابة الممر الذي تعبره الأمم. وقد شهدت الأيادي التي نالت شرف وعزة حمل الأمانة الإلهية تغييراً بين الحين والآخر، حيث حلت أيادٍ محل أخرى على مر الزمن.

وإلى جانب الأسباب الظاهرة المرئية لهذا التغير هناك أسباب خفية غير مرئية، وقد بين القرآن الكريم القانون الإلهي الذي يخضع له هذا السر، وتحدث التغييرات وفقه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤)

يلفت ربنا عز وجل في هذه الآية الكريمة الأنظار إلى أن الأمة التي يرضى عنها الله تعالى تتمتع بخمس خصال/ صفات:

١. **أن يكونبينهم وبين الله علاقة وثيقة محورها المحبة.**

إنها فئة قلوبها عند الله تعالى. فلا محبة تعلو على محبته أو تتقدم عليه. وإن مثل هذه المحبة أصل ضروري وذات أولوية لتمثيل خلافة الرب في الأرض. حيث إنّ التصرف باسمه، وترجيح مراده على مراد الذات أو الآخرين، والخضوع له وحده بالعبودية، والاستعداد للتضحية عند الاقتضاء بكل شيء في سبيله لا يتم إلا نتيجة لمثل هذه المحبة. وإن كان الأمر كذلك، فلا يمكن الوصول إلى الأمة العزيزة من غير محبة. فهذا المجتمع هو مجتمع المحبة قبل كل شيءٍ

٢. **هم أذلة على المؤمنين.**

فالكبر والعجب عائق كبير أمام تحقيق الأمة. فالمجتمع الذي يستصغر أفراده بعضهم بعضاً لا تنمو فيه مشاعر الأخوة، كما أنهم لا يفلحون في تشكيل فئة أو فريق متلاحم متماسك تسود بينهم الألفة والأنس. ولا يمكن أن تُسمى المجتمعات التي تتكون من أجساد جامدة لا تسود في قلوبها الألفة جماعة أو أمة. إذ كيف تتشكل من أفراد متباغضة متنافرة، وينبذ بعضهم بعضاً كيف تتشكل أمة؟

٣. **هم أعزة على الكافرين الذين ينكرون الحق والحقيقة.**

فلا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تتكون أمة عزيزة من الذين يهادنون المنكرين للحقائق الآتية من الله تعالى ويميلون إليهم ابتغاء المنافع والمصالح الدنيوية، وكأنهم يرضون بالذلة والهوان. فلن يتذوق طعم العزة والشرف الذين يحاولون تحصيلهما بالوقوف في صف الكافرين والتودد إليهم، بدل الوقوف إلى جانب الحق والحقيقة. وهذا الأمر من أعظم الضلالات التي وقعت فيها الأمة الإسلامية اليوم. ومن جهة أخرى، فإن المجتمعات التي لا تضع نصب أعينها تحقيق القوة والتمكّن من كل النواحي سوف تسقط حتماً في وديان المذلة أمام القوى الأخرى. وبناء على ذلك يجب على الأمة الإسلامية تحقيق القوة من كافة النواحي سواء العسكرية، أو الاقتصادية، أو العلمية، أو السياسية.

> الإفراط والتفريط يشكلان عائقاً في طريق الأمة الرائدة والقيادية.
> فلكي ينظر إليك الناس ويتخذوا منك علامة دلالية لطريق سيرهم لا بد أن تكون ميزاناً، أي أن تكون معياراً يحقق التوازن. وهذا يعني أن يصبح الإنسان ممثلاً للعدالة. فالأمة التي لا تسكت على ظلم الظالمين، ولا تتجاهل صرخات المظلومين سوف تكتسب العزة بين الأمم الأخرى عاجلاً أو آجلاً

٤. **لا يترددون أبداً في الجهاد في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم، ولا يتيحون أدنى مجال للتراخي والتساهل في هذا الأمر.**

إذ ما من قوم يتركون الجهاد إلا ويستحقون المذلة. وإن الجهاد اسم جامع ومشترك لكل عمل ونشاط وجهد من شأنه حفظ عزة وشرف اسم الله تعالى وحكمه، وتحقيق شرعه في الأرض. فالفضيلة والخيرية ليست من حق القاعدين، وإنما من حق الساعين والمجاهدين. فلا شك أن الذين ينكبون على المنافع والمصالح الدنيوية لا ينالون نصيباً من الأشياء العلوية. فالجهاد صفة الرجال. وإن الشعوب التي ليست برجال محكوم عليهم بالخنوع للأقوام والشعوب الأخرى والوقوع فريسة بين أيديهم.

٥. **لا يخافون لومة لائم في سبيل الحق والحقيقة.**

من لا يؤمن بقضيته لا يتمتع بالثقة بالذات. والذين لا ثقة لديهم بذاتهم لا يمكن أن يكونوا مؤثرين وأصحاب جرأةٍ. وإن مثل هؤلاء يقعون

تحت تأثير محيطهم فيميلون، وينحرفون ويتجهون حيثما مالوا واتجهوا، ويسيرون حسب إملائهم. ولا يمكن تحقيق العزة بمفهوم "ما يمليه الآخرون". وإنما ينال العزة والاحترام من يتمكن من قول: "يجب فعل ما يمليه الحق والحقيقة".

إن خير أمة هي الأمة الوسطية. أي الأمة التي تمثل الاعتدال والعدالة، وليست الأمة المتزمتة والمتطرفة في الأمور.

ويلفت الله تعالى الأنظار إلى هذه الصفة الثابتة للأمة العزيزة بقوله في كتابه الكريم:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)

فكل من الإفراط والتفريط يشكلان عائقاً في طريق الأمة الرائدة القيادية. فلكي ينظر إليك الناس ويتخذوا منك علامة دلالية لطريق سيرهم لا بد أن تكون ميزاناً، أي معياراً يحقق التوازن.

وهذا يعني أن يصبح الإنسان ممثلاً للعدالة. فالأمة التي لا تسكت على ظلم الظالمين، ولا تتجاهل صرخات المظلومين سوف تكتسب العزة بين الأمم الأخرى عاجلاً أو آجلاً، وسوف ترتقي إلى مكانة عالية تحترمها وتقدرها كل الأقوام والشعوب. ولا يمكن حفظ الإنسانية وحمايتها إلا من مثل هذه الأمة العزيزة.

وإن الأمة العزيزة هي الأمة التي تنجح في التحرك بعقل مشترك. حيث إنّ ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨)

مشيراً إلى صفة ملازمة لهذه الأمة ولا غنى لها عنها. فإذا كانت الأمة الإسلامية تريد استعادة عزتها فعليها تأسيس "مجلس شورى الأمة". فمثل هذا المركز الذي سيتألف من العلماء والحكام سوف يصدر قرارات استشارية واسترشادية لحل مشكلات وأزمات الأمة، وبذلك يمكن أن يوضع حجر الأساس لاستعادة عزة أمة الإسلام من جديد.

إن الأمة العزيزة وصاحبة الخيرية ليست بالأمة التي تهتم بأمور نفسها فقط، وإنما هي الأمة التي تأخذ على عاتقها مسؤولية إخراج البشرية جمعاء من الظلمات إلى النور. وليس هدفها تخليص نفسها وانقاذها فحسب. حيث جاء في الآية القرآنية:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

فالأمة الخيرية تنال هذه الصفة بالدعوة إلى الخير. فهي مأمورة بإصلاح الأرض. إذ أن القضاء على الفساد، والوقوف في وجه الظلم، وإزالة المنكرات والشرور، وإقامة العدالة ونشر الفضائل من الوظائف الربانية التي كلفت بها خير أمة.

والنتيجة؛ ينبغي أن يعلم أفراد الأمة الإسلامية اليوم أنهم إذا لم يسعوا جاهدين في طريق نيل العزة والخيرية التي يحثهم عليها ربهم عز وجل، وأصروا على الإهمال والتراخي، وعدم المبالاة، ورضوا لأنفسهم بالدونية والتعاسة والبؤس والخنوع، فسوف يُذهب بهم ويُؤتى عوضاً عنهم بقوم أعز منهم. فعلينا أن نتوب إلى الله تعالى جميعاً، ثم نقول "بسم الله الرحمن الرحيم" ونعزم على السير في طريق استعادة خصائص الأمة العزيزة العظيمة من جديد، والتوكل والاعتماد على ربنا سبحانه وتعالى. والذي سيكرمنا بالنتيجة المرجوة هو مولانا عز وجل.

من خصائص الإسلام الرئيسية

التوحيد (٢)

الدكتور: مُراد كَيا

إنّ الشرائع السماوية كلها تدعو إلى التوحيد أي إنّ الله واحد لا مثيل ولا نظير له. وقد بدأ إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى التوحيد بأبيه آزر. (انظر: مريم، ٤٢-٤٧)

إن المبدأ الأساسي الذي أكدت اليهودية عليه بشدة هو وحدانية الخالق، ودعا الإنسانُ الأوّل وأولاده ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام إلى عبادة الله الواحد حسبما ورد في التوراة وإنّ أكثر ما أكدت عليه الأوامر العشر الموجهة إلى موسى عليه السلام ومواضع أخرى في التوراة هو موضوع وحدانية الله ﷻ. (سفر الخروج، ٢٠: ٢ ـ ٣؛ سفر التثنية، ٦: ٤ ـ ٥)

وإنّ الزبور المنزل على داود عليه السلام يدعو إلى الإله الواحد، وكذلك عيسى عليه السلام أكّد على أنّ الأمر الأول في الشريعة هو وحدانية الله ﷻ. (ماركوس، ١٢: ٢٨ ـ ٢٩)

فالتشبيهات المفرطة في الديانة اليهودية فتحت الطريق إلى تصوير الإله على هيئة إنسان، والحب المبالغ فيه في الديانة المسيحية أدى إلى تأليه عيسى عليه السلام، وبالتالي تَرَتَّب عليه نزول التوحيد إلى الثالوث. في حين أن الإسلام أزال التشويش الحاصل بمرور الزمن في معنى التوحيد ودعى اليهود والنصارى إلى الاندماج في التوحيد.[1]

إن الأدلة العقلية والكونية تُظهر وحدانية الخالق، يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون، ٩١)

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء، ٢٢)

فلا بدّ من الإيمان بوحدانية الخالق؛ لأنّ وجود أكثر من خالق أو إله يقتضي ظهور صفات نقص كالعجز وكون الإله مخلوقاً من قبل غيره من الآلهة.

وإن أكبر الكبائر في الدين الإسلامي عدم معرفة الله ﷻ وجعل شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله وإعطاء جزء من الألوهية لغيره، والإثم الذي يترتب على الشرك هو أكبر الكبائر. لقد وصف الله تعالى الشرك بقوله:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان، ١٣)

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ (النساء، ٤٨)

لقد بين الله تعالى أنه يغفر من جميع الذنوب ما يشاء إلّا مَنْ أشرك به ومات من دون توبة فلن يُغفر له. (انظر: النساء، ٤٨، ١١٦)

يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر، ٦٥)

إنّ التّخلّي عن الشرك والتوجّه إلى التوحيد هو المنْفذ الوحيد للتخلّص من إثم الشّرك.

١ (آل عمران، ٦٤. إن المسمّى بولس هو مَن وضع عقيدة الثالوث لأول مرة، وعندما هُدّد بالقتل من قِبل اليهود، فرّ إلى الشمال وبدأ بتبليغ النصرانية المستندة إلى الثالوث. وعقيدة الثالوث هذه التي رُدّت من طرف الكثير من المسيحين جُعلت فيما بعد ديناً رسمياً للمسيحين من قِبل حكام البيزنطة المتأثرين بديانة اليونان المتعددة الآلهة، يشرح فريد ريد صاحب كتاب Shattered Images ـ الصور الممزقة ـ بالتفصيل كيفية تخريب وتحوّل عقيدة التوحيد في المسيحية إلى الثالوث).

التوبة

إبراهيم كوج

التوبة هي شعور الإنسان بالندم على الذنب، وطلب العفو من الله تعالى.

التوبة طهارة من أدران الذنوب، وتجديد العهد للمولى عز وجل بعد العودة إليها مرة أخرى.

التوبة مرور من الذنب إلى الثواب، وتحول من الشر إلى الخير.

التوبة عودة إلى الحق سبحانه وتعالى، وخروج من الظلمات إلى النور.

التوبة تطهر، وأمل الخلاص الوحيد للإنسان الملوث بالذنوب والمعاصي.

التوبة ندامة، وكل ندامة توبة.

التوبة إدراك العبد لخطئه والتراجع عنه، وإعادة الحياة المعنوية الفاسدة والمنحرفة إلى التوازن ووضعها على جادة الصواب من جديد.

فما أجمل السعي للتوبة التي تختلج لها القلوب قبل مجيء اليوم الذي تشخص فيه الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر! فيا ليتنا نوفق إليها بأنين وزفرات وبشكل يردم الشرخ الذي تحدثه كل معصية!

أجل إن التوبة هي اسم لمثل هذه العودة. وكل توبة ليست كذلك فيهي كذب، وكل سلوك وادعاءٍ لا يقارنه الندم فهو خداع ومراوغة.

لأن إظهار الندم على الذنوب والمعاصي المقترفة دون إزالة آثار المعصية وتصحيح المسار، ودون حدوث اختلاج في المشاعر وذرفٍ للدموع ليس إلا محض ادعاء وهو بعيد كل البعد عن القبول.

فما أسعد من يدرك خطأه وذنبه ثم يسارع إلى التوبة منه!

التوبة إحساس بألم الخجل الذي تحدثه المعاصي، وشعور عميق بوخز الضمير والوجدان.

التوبة هي تعالي أنين وصرخات القلب نحو العرش في جوف الليالي الصامتة؛ وعنوان لتبلل المصلى بدموع الندم المنهمرة من العين!

التوبة هي جراح داخلية للعبد المسكين سببها الذنوب والمعاصي والآثام، وهي آهاته الصادرة من أعماق فؤاده المحترق، وأنين بكائه في الزوايا الخالية، ودموع عينه المنسكبة على سجادته. تلك الدموع التي

تشكل زينة التوبة من جهة وشهادة قبولها من جهة أخرى.

"إن الدمع الذي يسيل على خد المؤمن من خشية الله يحرم عليه عذاب الله (الأبدي) وإن كان بقدر جناح بعوضة!".

"وإن من تاب من ذنبه توبة نصوحاً كان كمن لم يذنب أبداً".

"وإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر".

ومن أراد التوبة فليردد هذا الدعاء بخشوع تام:

"أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه...".

ومن استغفر الله وتاب إليه غفرت ذنوبه.

و ﴿مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)

إن الله أشد فرحاً بتوبة عبده من فرح رجل حمل زاده ومتاعه على بعير، ثم سار حتى كان بفلاة من الأرض، فأضاعه، ثم وجده.

إن كل ذنب نقترفه، وكل شبهة تعتري عقلنا تفتح جرحاً عميقاً في قلوبنا وأرواحنا. وإن الذنوب تحدث في القلب نقطاً سوداء حتى يقسو ويخرج منه نور الإيمان، وينطفئ نوره.

وإن في كل ذنب طريق نحو الكفر. فإذا ما تاب منه العبد انمحى وزال.

إن المؤمن إذا أذنب كانت نقطة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه.

وجاء في الحديث النبوي:

"ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور، ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله، إلا غفر الله له".

"وم همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيء"، ولا يُحساب عليها.

"من استغفر بعد كل صلاة سبعين مرة غفر له ذنبه، ولم يخرج من الدنيا حتى يرى ما أعد له من حور عين وقصور في الجنة".

"يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي".

"من قال: سبحان الله وبحمده. في يوم مائة مرة. حُطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر".

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)

"من أكثر من الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب".

التوبة النصوح

النصوح يعني كثير النصيحة، وكثير الصدق والإخلاص. وإن توبوا توبة نصوحاً صادقة تنصح صاحبها بترك الذنوب، وتنجيه من المعاصي والآثام، يعني عودوا إلى الله تعالى. يعني ترك الذنوب في الحال، والندم على ما تقدم من المعاصي، وإبرام وعد بعدم ارتكابها في المستقبل، وإعادة الحقوق إلى أصحابها.

يقول الله ﷻ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم: ٨)

ويخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث شريف أن الذي يتوب توبة صادقة ويثبت عليها ينال مرتبة الشهداء. غير أن من تاب وبقي على ذنبه كان كمن يهزأ بالباب الذي التجأ إليه.

وإن من يقول إني: "خائف من النار" ثم يصر على الذنوب، و "مشتاق للجنة" ثم لا يعمل الصالحات، و "أحب النبي" ثم لا يأبه لسنته مجرد مدعٍ مخادع لنفسه قبل غيره لا أكثر.

المحبة المتجهة إلى الحق طريقها من العباد

إذا أراد المؤمن بلوغ الكمال يجب عليه أن يحرص على محيطه وينتبه إلى من يصاحب. فمصاحبة العلماء، والصالحين، والمتقين، وملازمتهم من شأنها رفع معنويات وروحانيات الإنسان المؤمن. ولهذا فإن السالك الذي دخل طريق المعنويات سوف يحب أولاً ربه، ثم حبيب ربه، ثم أصحاب الحبيب. وحسب رأي الإمام الرباني فإن محبة المؤمنين الصالحين، والصوفيين وخاصة الدراويش والفقراء منهم تُعد رأسمال السالك في الآخرة.

حيث يقول الإمام في مكتوبه (٧٤، مجلد ١) إلى أحد مريديه:

"قد وصلت رسالة أخينا الأعز، حيث كان منبئاً عن محبة الفقراء والدراويش، فالالتجاء إلى هذه الطائفة باعثٌ للفرح، فهي رأسمال السعادة. فالدراويش مع الله دائماً، والمرء مع من أحب، و "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم". (مسلم، الذكر، ٨، ١٦٨٩)

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يسأل الله تعالى ويتوسل إليه بفقراء المهاجرين. (الطبراني، المعجم الكبير، ٨٥٧)

وكذلك قال عنهم النبي عليه الصلاة والسلام:

"رُب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره". (البخاري، الصلح، ٨)

ولذلك ينبغي أن يستخدم السالك في محبته المعايير والموازين الأخروية لا الدنيوية، فيتودد للأولياء والصالحين من محبي الله ورسوله ويحمل لهم المحبة في قلبه حتى وإن كانوا فقراء ودراويش. وذلك لأن من يحب أحباء الله تعالى سوف تتأجج بعد مدة بين جوانحه مشاعر المحبة لربه أيضاً. وبالمقابل فإن من يحب الذين لا يحبون الله ورسوله يُحرم من المحبة الإلهية. وقد تحدث النبي عليه الصلاة والسلام عن سريان هذه الحال المعنوية والروحية بين البشر، حيث قال:

"إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة". (مسلم، البر، ١٤٦)

د. سليمان درن

ولهذا فقد أولى الصوفيون أهمية كبيرة لصحبة ومجالسة الصالحين والصادقين. وتحمل هذه المسألة أهمية خاصة في عصرنا هذا حيث انتشر أصحاب وجلساء السوء في كل مكان مع تطور وتمدد الوسائل الإعلامية وأجهزة الاتصالات وظهور علاقات الصداقة الافتراضية.

ومع توصية الإمام الرباني بصحبة ومجالسة الصالحين ومحبتهم، فإنه لا يتردد أيضاً في توجيه النقد لمبالغات المتصوفة في هذه المسألة. نعم؛ فنحن نحب كل من يمسك بأيدينا ويدلنا على الطريق الذي يوصلنا إلى الله تعالى من العلماء والعارفين، وفي مقدمتهم نبينا عليه الصلاة والسلام، إلا أن هذه المحبة لا يمكن أن تكون عمياء وبلا معيار.

ومع الأسف فإن النماذج السيئة التي نصادفها كثيراً اليوم من مبالغة وإفراط في محبة المرشدين المعنويين وإسناد قوى وخوارق إليهم قد شكلت معضلة ومشكلة للصوفيين في زماننا وفي الماضي أيضاً. إذ أن الإطراءات والمدائح التي تكال للإنسان تضعه في حالة يصعب عليه فيها منعها والوقوف في وجهها. وقد نبه الإمام الرباني أحد مريديه الذي بالغ في مدحه بطريقة في غاية اللطف، حيث قال له:

أيها الأخ السعيد! لقد ورد في مكتوبك عبارة "سيد العالمين". وهذه الصفة مخصوصة بواجب الوجود الله سبحانه وتعالى. فكيف يمكن أن يقارن عبد عاجز مثلي ولا يقدر على شيء مع الله تعالى، ويوضع على طريق السيادة؟ وبالأخص كيف يمكن أن تتحقق في الحياة الآخرة هذه السيادة المخصوصة بالله تعالى مالك يوم الدين ملكية مطلقة لعبيده سواء مجازاً أو حقيقة؟

يستنتج من هذه الكلمات أن على الإنسان إدراك العبودية التي تليق بالعبد، وعدم الانخداع بإطراء ومدائح الناس له. وكذلك فإن الإمام يصور من خلال آيات القرآن الحالة الشديدة التي سوف يواجهها الناس في الآخرة، ويعبر عن عجز الإنسان أمام ربه سبحانه وتعالى، فيقول:

سوف ينادي الحق جل جلاله يوم القيامة:

﴿لِمَنِ الملك الْيَوْمَ؟﴾

ثم يجيب ذاته: ﴿لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

فلا شيء أكثر رعباً وخوفاً وهلعاً للعباد من ذلك اليوم.

ووفقاً لرأي الإمام فإن المحبة تجاه المرشد لا ينبغي أن تكون مجرد ادعاء أجوف. إذ أن المحبة لا تكتسب قيمتها الحقيقية إلا بطاعة الله ورسوله، إذ أن المرشد قد خرج بالسالك لإيصاله إلى هذين المعينين.

ولهذا فإن الإمام كان يوصي المريد الذي يعبر عن محبته له، يوصيه باتباع النبي عليه الصلاة والسلام وطاعته، وأن لا تشكل محبة الدنيا عائقاً أمامه في هذا الطريق، فيقول:

يجب اتباع وطاعة صاحب الدين عليه الصلاة والسلام، لأنه لا خلاص ولا نجاة دون طاعته. فيجب عدم الالتفات إلى زينة الدنيا وبهرجها، وعدم الانخداع بوجودها وعدمها. فالدنيا حقيرة ولا قيمة لها عنده سبحانه وتعالى. ويجب أن يكون زوال الأمور الدنيوية خير من بقائها لدى العباد.

فمن المعلوم والظاهر للعيان أن الدنيا لا وفاء لها، وسرعان ما تدير ظهرها لصاحبها. فاعتبروا من أهل الدنيا الذين جاؤوا من قبلكم ثم مضوا خاليي الوفاض.

إن الإمام الرباني يقف وبشدة ضد كل شكل من أشكال التمييز والتفرقة التي قد ترتكب بحق النبي عليه الصلاة والسلام. فإخراج رسول الله عليه الصلاة والسلام من معادلة الإيمان بهدف كسب قلوب أتباع الأديان الأخرى يُعد معصية كبيرة تقود مرتكبها – لا قدر الله – إلى الكفر. فيتحدث الإمام عن هذا الأمر بالتفصيل في المكتوب ٨٠ من المجلد ١.

وحسب رأيه لا يمكن أن تتحقق طاعة الله ومحبته دون طاعة النبي ومحبته، فيقول:

قال الله تعالى:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله﴾ (النساء: ٨٠)

فكانت إطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام عين إطاعة الله تعالى، وخلاف إطاعته عليه الصلاة والسلام عين معصيته تعالى وتقدس.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال جماعة زعموا طاعته تعالى خلاف طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وحكم بكفرهم، حيث قال سبحانه وتعالى عنهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بالله وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء: ١٥٠-١٥١)

فكما أن محبة الله سبحانه وتعالى تبدأ من محبة رسوله، فإن محبة الرسول تبدأ أولاً من أصحابه أيضاً.

وحسب رأي الإمام فلا يمكن أن تتحقق طاعة واتباع ومحبة الرسول دون طاعة ومحبة واتباع أصحابه الكرام، فيقول:

ودعوى اتباع النبي عليه الصلاة والسلام بدون اتباع طريق الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين دعوى باطلة. بل ذلك الاتباع في الحقيقة عين معصية رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكيف يطمع في النجاة من سلك ذلك الطريق؟ والله تعالى يقول عن حال هؤلاء:

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة: ١٨)

فكل من يحب الله تعالى يحب رسوله وأصحاب رسوله الذين يتبعونه ويسيرون على طريقه ونهجه. فالإمام الرباني يستنكر بشدة في كثير من مكتوباته على الذين يدعون محبة النبي عليه الصلاة والسلام وآل بيته ثم يعكفون على ذم أصحابه الكرام والإساءة إليهم:

ثم إن الطعن في الأصحاب الكرام هو في الحقيقة طعن في نبي الله عليه الصلاة والسلام. إذ ما آمن برسول الله عليه الصلاة والسلام من لم يوقر أصحابه. لأن الـ'ساءة إلى الصحابة تجر إلى الأذى والإساءة إلى صاحبهم عليه الصلاة والسلام، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد السيء.

ونختم مقالنا هذا بدعاء رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"اللهم ارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إليك".

آمين

إن المحبة تجاه المرشد لا ينبغي أن تكون مجرد ادعاء أجوف. إذ أن المحبة لا تكتسب قيمتها الحقيقية إلا بطاعة الله ورسوله، إذ أن المرشد قد خرج بالسالك لإيصاله إلى هذين المعينين.

اتق المحارم

إسماعيل لطفي جاكان

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

"من يأخذ من أمتي خمس خصال فيعمل بهن، أو يعلِّمهن من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة: قلت أنا يا رسول الله. قال: فأخذ بيدي فعدهن فيها، ثم قال ﷺ:

اتق المحارم، تكن أَعبدَ الناس". (رواه الترمذي وأحمد)

العلاقة بين المسلم والكمال

إن من الأمور البديهية والأساسية التي ينبغي التسليم بها هي أن كل مسلم ميّال للكمال وطالب له. لأنه لا قيمة تذكر لتدين المتدين الذي لا ينوي مثل هذا الأمر ولا يضعه نصب عينه. فالدين، والتدين، والكمال ليس بالأمر الذي يبدأ وينتهي بقول "آمنت". وإنما هو بحاجة مستمرة وفي كل لحظة إلى الإنماء، والتطوير، والتعميق، والتسامي.

فالله ﷻ يخبر في كثير من الآيات القرآنية كقوله:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)

واعلم أن الدنيا هي ساحة اختبار وامتحان، ومن إحدى الحكم الأساسية لهذا الامتحان إظهار الذين يؤدون العبودية على أكمل وجه، أي يبلغون الكمال.

وفي امتحان العبودية من الناحية العملية ثلاثة أشكال من التصرفات المهمة. ويتمتع الاثنان الأولان بأهمية بالغة تفوق التصور، وهذه التصرفات هي:

فعل المأمورات: تنفيذ الأوامر قدر المستطاع.

ترك المحظورات: ترك المحرمات والابتعاد عنها.

الابتعاد عن الشبهات: الحذر في مسائل الشبهات.

فالنبي ﷺ يبتدئ في الحديث الذي نحن بصدد شرحه وبيانه، يبتدئ من بين التصرفات الثلاثة باتقاء المحارم أي ترك المحظورات باعتباره يتقدم على غيره من ناحية تأثير بعضها على بعض. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه المسألة في حديث آخر من خلال اتباع ترتيب راعى فيه ذكر النهي أولاً ثم الأمر. حيث قال:

"إذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم". (البخاري، الاعتصام، ٢)

اتقاء المحارم

مما لا شك فيه أن "اتقاء المحارم" أو ترك المحرمات يشمل ترك كل التصرفات والأشياء المنهيّ عنها، فإنه في الوقت ذاته يتضمن الابتعاد عن إهمال وعدم القيام بالفرائض المأمور بها أيضاً. إذ أن ترك المأمورات أي عدم تنفيذ الأوامر يُعد من جملة "المحارم" التي أمر العبد باتقائها. ومن البديهي أن المسلم الحريص في مجال اتقاء المحارم سوف يتصرف بحذر أمام الشبهات أيضاً.

ويمكن أن نقول بعبارة أخرى: إن من البديهي جداً أن اتقاء المحارم يستوجب تنفيذ الأوامر وأداء الفرائض أيضاً. إلا أن تنفيذ الأوامر لا يولد ترك المحرمات بصورة حتمية. وهذه الحالة تُعد حقيقة مؤلمة ظاهرة للعيان في حياتنا كمسلمين ولا يمكن إنكارها، وخاصة في عصرنا الذي نعيش فيه. إنه لأمر غريب وعجيب حيث نرى بعض المسلمين قائمين بصلاتهم، ودعائهم، وعباداتهم، ثم نراهم يتقلبون في المحرمات خلال حياتهم ومعاملاتهم اليومية. فحياة المدن التي هيمنت عليها المحظورات والمحرمات وخاصة في ظروف عصرنا الحالي تشكل خطراً داهماً مهما بالغ الإنسان في أخذ الحيطة والحذر. فتقريباً ليس بالإمكان أن تجد زاوية خالية من المحرمات. فقد حلت وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب ضيوفاً ثقلاء على بيوت المسلمين، وتحولت إلى وسيلة لاقتراف المحرمات بنسب متفاوتة. ولدى النظر إلى مثل هذه البيئة الموبوءة نجد أن تحذير ووصية النبي ﷺ المتمثل ب "اتق المحارم، تكن أَعبدَ الناس" تتمتع بأهمية وجدية أكبر في عصرنا هذا.

رجلان مسلمان

عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال:

ذُكر رجل عند النبي ﷺ بعبادة واجتهاد، وذكر عنده آخر بورعه وبعده عن المحرمات، وسئل عن أعبدهما. فقال النبي ﷺ: لا يعدل بالرِّعة (أي ليس شيء مثل الورع)". (الترمذي، القيامة، ٦٠ / ٢٥١٩؛ البيهقي، الزهد الكبير، ٢، ٣١٢، / ٨٣١)

فلدى المسلمين الذين لا يحتاطون كثيراً بشأن المحرمات بالرغم من قيامهم بالفرائض، والذين ينشغلون بالنوافل مع تقصيرهم في ميدان الفرائض والواجبات خلط وضلال مشترك من حيث تقدير وتطبيق مبدأ الأولوية بين الواجبات والوظائف، والأمور التي يجب تقديمها على الطريق السائر نحو الكمال.

لا ريب أن الإسلام دين النظام، ودين ترتيب المبادئ والقيم حسب سلم الأولويات. ولهذا فإن كل فكرة وتصرف في حياة المسلمين يخضع للترتيب وسلم الأولويات. فالصعود نحو الكمال له نقطة انطلاق، ودرجات، ومراحل يجب المرور بها واجتيازها

لا ريب أن الإسلام دين النظام، ودين ترتيب المبادئ والقيم حسب سلم الأولويات. ولهذا فإن كل فكرة وتصرف في حياة المسلمين يخضع للترتيب وسلم الأولويات. فالصعود نحو الكمال له نقطة انطلاق، ودرجات، ومراحل يجب المرور بها واجتيازها. والتحذير الوراد في الحديث الذي ذكرناه يلفت الانتباه إلى نقطة الانطلاق هذه بشكل جيد.

الكمال يبدأ بالورع

الورع يأتي بمعنى الوقاية، والاحتراز، والتقوى، وتجنب الشبهات، وباحتياط بالغٍ وحذرٍ شديد في المباحات والمكروهات.

ويُعد ترك المرء ما لا يعنيه من الورع أيضاً. حيث جاء في الحديث النبوي الشريف:

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".(الترمذي، الزهد، ١١؛ ابن ماجه، الفتن، ١٢)

فمثل هذا الورع وهذا السلوك سوف يصبح بالتدريج قوة دافعة لخطوات أحسن وأفضل، ولأعمال أكثر صلاحاً وقبولاً. لقد أشار النبي ﷺ إلى النقطة الأساسية لهذه المسألة في وداعه لمعاذ بن جبل ﷺ لما أرسله إلى اليمن، فقال له:

"يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري!". فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ. ثم التفت النبي ﷺ فأقبل بوجهه نحو المدينة كي لا يرى معاذ حزنه، فقال:

"إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا". (مشكاة المصابيح، ٥٢٢٧)

فكما يبدو هنا وبشكل جلي أن ما يضفي القيمة على المسلم عند الله تعالى، ويجعله الأقرب إلى رسول الله ﷺ هو التقوى، أي أن يمضي حياته بحالة تعظيم وإجلال لله تعالى والتي تبدأ باجتناب المحرمات. ولا فرق بعد ذلك في هذه القاعدة بين قوم، أو جماعة، أو لون أو عرق، وسواء من وجهاء المجتمع وعلية القوم أو من عامة الناس وفقرائهم، وسواء كانوا يعيشون في مكة، أو المدينة، أو اليمن، أو البصرة، أو الكوفة، أو اسطنبول، أو بلاد أخرى. وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم أن القيمة والاعتبار الحقيقي للتقوى، حيث قال:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)

وبين الله هذه القاعدة تسري على كافة الأمم، فقال:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ (النساء: ١٣١)

وبناء على ذلك فليس من حق أي مسلم ادعاء الأفضلية والخيرية لكونه من بلد كذا، او لأنه عاش في عصر كذا، وليس من الصواب أيضاً أن يشعر أي مسلم بالحرمان، أو الدونية. فالأمر المهم هو السعي للوصول إلى حياة إسلامية سليمة تبدأ باتقاء المحارم.

قال رسول اللهِ ﷺ:

(إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) متفق عليه.

هذا الحديث أحد أصول الإسلام التي يدور عليها أحكام الحلال والحرام وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم فيه حد الشبهات والمنهج الشرعي في التعامل معها . .

دين العبودية مولانا عز وجل

الأستاذ: علي رضا تَمَل

إن كل ما تملكه من أشياء هي مكرمة وإحسان من المولى سبحانه وتعالى. فأحد أسمائه الحسنى "الوهاب" أي الذي يجزل العطاء دون مقابل. وترد آية (لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) باللفظ ذاته في عشرين موضعاً من القرآن الكريم.

﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الملْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٢٦)

لقد جئنا إلى الدنيا عراة لا نملك شيئاً، وسوف نغادرها كما جئنا. فنحن لا نملك حتى أنفسنا. إذ أننا لا نملك التصرف بأبداننا كما نشاء، فليس لأحدنا أن يقول بحال من الأحوال أنني أملك نفسي وبإمكانني الإقدام على الانتحار. لأننا لا نمتلك حرية التصرف بالأمانة التي أودعنا إياها ربنا كما نريد دون إذن منه. فقد كنا عدماً فأوجدنا، وأخبرنا عن الوجود: فنحن لسنا ملاك الوجود، وإنما شاهدون عليه. فالشهادة: هي أن نشهد أن كل شيءٍ له، وأن نُقرَّ بهذه الحقيقة. فلا يحق لأحد التباهي والتفاخر بشيءٍ أودعه أمانة من أجل الامتحان والاختبار. فعندما ولدنا وجدنا أن كل شيءٍ جاهز في هذه الدنيا. فأول مكرمة تقدم إلينا بعد الولادة هي الحليب الذي يتدفق صافياً سائغاً من ثديي أمهاتنا. وكذلك فإن الهواء الذي نستنشقه، وأعضاءَنا وقدراتنا التي تنمو يوماً بعد يوم من عين، وأذن، وعقل، وذكاء، ويد، وقدم وغيرها هي ألطاف من مولانا ﷻ. فلو لم تكن القدرات والطاقات التي نزود بها منذ الولادة، وإمكانية استعمالها والظروف الملائمة التي تهيء لاستخدامها، لما كنا نمتلك شيئاً أبداً.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)

إن الدين يأتي بمعنى المقابلة، والدَين، والطاعة. وإن التدين هو الاعتراف بنعم مولانا سبحانه وتعالى، وبذل الجهد للوفاء بواجب الشكر على النعم الكثيرة التي أنعم بها علينا.

وفي الواقع مهما سعى الإنسان وبذل من جهد فإنه عاجز عن أداء واجب الشكر حق الأداء. فإذا كان كما يقول الشيخ سعدي حتى في كل نفس نعمتان اثنتان. فمن بإمكانه الشكر شكراً كاملاً قولاً وفعلاً حسب ما تستوجبه كل نعمة من النعم؟ فإنّ ذلك يفوق طاقتنا. ولكن امتناع الإنسان عن القيام بما يطيقه ويستطيعه إنكار وكفران وجحود.

ليس لأحد من البشر ما يهبه له المولى عز وجل. إذ كل ذلك هو عطاء وإكرام منه دون مقابل. ولذلك فليس للعبد أدنى حق بالشكوى والتذمر تجاه ربه سبحانه وتعالى. ولكن له الدعاء والتضرع والالتجاء إلى أعتابه ليفرج عنه الكربات ويذهب عنه البأس.

ولأن الله تعالى مالك الملك الحقيقي فله الحق في فعل ما يشاء، وإعطاء وأخذ ما يشاء لمن يشاء وممن يشاء.

فعلينا أن لا نكون ممن يفرح عندما يُعطى، ويجزع عندما يُمنع. فالمعطي كان بإمكانه أن لا يعطي من البداية. حيث لم يكن مجبراً على العطاء. وبالتالي الانتفاع بالعطاء ولو لمدة قصيرة يستوجب الشكر. إلا أننا نعتقد أن الإمكانات والأشياء المعطاة لنا امتحاناً وابتلاء هي أملاك خاصة. نظن أنفسنا ملاكاً لامستودعين وديعةً، فلا نقول كما قال يونس:

"يا صاحب المال، وصاحب الملك، أين صاحبه الأول!".

أحياناً ينسب مولانا سبحانه وتعالى الأموال إلينا، وذلك كي يحثنا على السعي والعمل والكسب. وفي الواقع فإن كل شيءٍ لله عز وجل.

يقول الحق تعالى شأنه:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣)

فمال مَن يحجبه الذين يمتنعون عن العطاء والإنفاق وممن يحجبون؟ وهل من المروءة أن إذا أهدي الرجل بستاناً من العنب أن يمتنع عن إعطاء غيره عنقودين منه؟ وهل يليق مثل هذا السلوك بإنسان ناضج رشيد؟ بماذا يمكن أن يوصف الذي يعطيه أحد ألف ليرة، ثم يطلب منه أن يعطي منها ليرتين للفقراء، فيبخل ويمتنع عن تنفيذ مطلب المعطي؟ ألا يستحق أن يُوصف: باللئيم، والخائن، وناكر الجميل؟. فليراجع مانعو الزكاة أنفسهم، وليعيدوا النظر في مقامهم وصفتهم.

يقول الكندي الذي يُعد الفيلسوف الإسلامي الأول:

إن كل شيء بين أيدينا هو نعمة أعطانا إياها خالق النعم الله تعالى، وله متى شاء أن يستعيد نعمته ويعطيها لمن أراد. ولو أنه لم يكن يعطيها لمن يشاء، لما وصلت تلك النعمة إلينا. وعندما يستعيد تلك النعمة بيد الأعداء أحياناً، نظن أنه قد أساء إلينا. إلا أن علينا أن نعلم أن استرجاع الأمانة وإعطائها للغير هو من حق صاحب الأمانة. وهذا الأمر لا يتضمن لنا إهانة ولا إساءة. وإنما الإساءة والإهانة الحقيقية هي حزننا وتذمرنا عند استعادة الأمانة من أيدينا. لأنه لا يكون بمثل هذه الأخلاق إلا الطماعون والجشعون، والبخلاء والذين لا يميزون بين الإساءة والإحسان. وإن اعتبار الأمانة ملكاً خاصاً مفهوم بعيد عن الشكر. إذ أن أقل الشكر لصاحب الأمانة يكون بإعادتها إليه بطيب قلب، وامتنان، وبيد ممدودة. وعلى ذلك الحزن والتأسف على إعادة الأمانة دليل على قلة شكر المؤتمن"

(الكندي، رسائل فلسفية، ص، ٢٩٤)

إن الإنسان خلق بشكل عام ضعيفاً، وإذا لم يتعهد نفسه ويطورها بالعلم والمعرفة والإيمان فإنه ينحرف إلى الأنانية والبخل والجشع. ويشير ربنا سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله في كتابه العزيز:

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠)

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ١٥-٢٠)

وعندما يمتلك الإنسان القوة والسلطة والثروة والمال فإنه يطغى ويتجاوز حدوده. ويُعد نمرود، وفرعون، وقارون نماذج حية لهذا الأمر. فقد فتح الله لقارون خزائنه وأعطاه أموالاً لا تأكلها النيران. يقول الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ. وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٦-٧٨)

فماذا كان بمقدور الإنسان فعله وكسبه في هذه الدنيا التي جاء إليها عارياً لو أنه لم يجد كل شيء جاهزاً، ولم يُزود بالفطرة والغريزة وإمكانية الكسب؟ فخلق الإنسان إنساناً، وامتلاكه لخصائص ومزايا تفرد بها عن سائر المخلوقات الأخرى مثل القوة، والقدرة على التحكم بالأشياء والسيطرة عليها، والعقل، والذكاء كل ذلك لم يكن من كسب يده، وإنما إحسان ومكرمة من ربه سبحانه وتعالى. حيث كان بالإمكان الإتيان به إلى الدنيا مخلوقاً آخر مغايراً. فمجيئنا إلى هذا العالم، ومغادرتنا منه ليس بأيدينا وإرادتنا. وإنما متعلق بإرادة وتقدير الله تعالى مالك كل شيء. فقد خرجنا من ظلمات العدم إلى نور الوجود بإرادة مولانا عز وجل. وعلى ذلك فإن أهم واجب ووظيفة علينا القيام بها قبل كل شيء هي معرفة هذا الخالق، والعمل على أداء دين الشكر له، والخضوع له بالعبودية. فنحن لسنا بموضع يؤهلنا للأخذ منه، حيث أننا مدينون له بكل شيء نملكه. والمدين يسعى جاهداً للوفاء بدينه. وفوق ذلك فإن مولانا سبحانه وتعالى قد أعطانا الكثير من الأشياء دون مقابل وثمن، قدمها لنا قرضاً حسناً. والمقترض بكل الأحوال مدين بتقديم الشكر للمقرض. يرى أمير المؤمنين علي ﷺ أن للعبودية ثلاثة أنواع: عبودية التجار التي تكون لكسب الثواب. وعبودية العبيد التي تكون بسبب الخشية والخوف. وعبودية الأحرار التي تكون للشكر على النعم. فكل العبادات التي يؤديها الإنسان عبارة عن شكر. إذ أن إعادة أو دفع ثمن كل ما أُعطيناه من النعم بشكل تام تفوق طاقتنا، حيث أن كل الجهود والأعمال التي نقوم بها لا تساوي ثمن كأس من الماء. لأننا لا نستطيع العيش والبقاء على قيد الحياة دون ماء، وهواء. وأكثر النعم التي أعطانا إياها المولى

يرى الإمام علي ﷺ أن للعبودية ثلاثة أنواع: عبودية التجار التي تكون لكسب الثواب. وعبودية العبيد التي تكون بسبب الخشية والخوف. وعبودية الأحرار التي تكون للشكر على النعم.

ﷻ وأجزل في عطائها دون مقابل ودون بذل كبير هي أكثرها ضرورة لحياتنا. وبين لنا أن الشكر يزيد النعم، والكفران ينقصها ويزيد غضبه ونقمته، فقال:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧)

ويصف أحد الشعراء غفلة الإنسان فيقول:

"إنك أيها الإنسان تمرغ وجهك على الأرض من أجل راحة الدنيا، ولا تضع جبينك على الأرض لأجل راحة العقبى!".

يُعد وضع الجبين على الأرض أي السجود إجلالاً للمولى عز وجل وتعبيراً عن الشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ذروة العبودية. إذ ليس هناك تعبير عن التواضع والاحترام والإجلال أبعد من ذلك. وإن الكسب الحقيقي هو الكسب الأبدي. فمن لم يكسب ويقر برضا المولى سبحانه وتعالى، وبجنته، وجماله لم يكسب شيئاً. لأن كل أشكال الكسب المادي الفاني تبقى في الدنيا ما عدا الكسب المعنوي، وإذا لم يُحول الكسب الفاني إلى وسيلة لتحصيل الكسب الباقي فإنه ينقلب إلى مضرة.

والنتيجة؛ أننا مدينون لمولانا عز وجل بكل شيءٍ نملك بما في ذلك أنفسنا وأرواحنا. فقد جئنا بأمره، وإليه نعود. وإن أحسن وأفضل عودة وأكثرها راحة هي العودة طوعاً وبتواضع. إذ لا معنى للتمرد والمقاومة أمام المولى سبحانه وتعالى. وبطبيعة الحال فإننا لسنا أهلاً للمقاومة ولا طاقة لنا على ذلك. فالإسلام تسليم. والمسلم هو من يسلم الأمر طوعاً لا كرهاً. فتسليم ما أخذناه لمالكه وفاء وإخلاص له على عطائه.

وما أجمل ما قاله فضولي شاعر العشق:

هوى الروح ريحانته فلا يليق بنا منعه يا لسان

فلا ننازعه مراده فالأمر ليس لك ولا لنا

نسأل المولى ﷻ أن يجعلنا من الشاكرين. آمين.

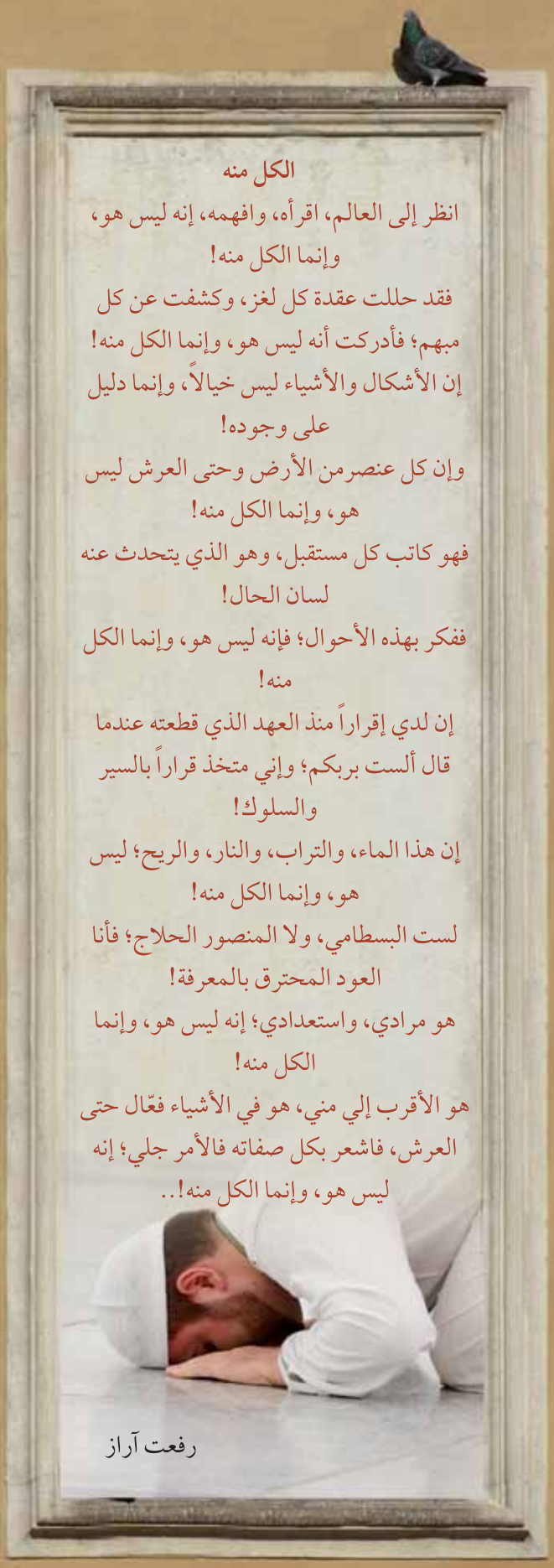

في سبيل النجاة في الدنيا والآخرة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...**﴾ (التوبة: ٧١)

أي أن المؤمنين يجتمعون ويتوحدون في مسألة التوحيد ويعين بعضهم بعضاً في أعمال الدنيا والآخرة على السواء.

لا شك أن الرابطة الدينية أقوى وأمتن من القرابة الأسرية التي أساسها التراب.

وإن خدمة الدين لا تتحقق إلا بحماية الأمة الإسلامية وشرائعها من مختلف الأخطار التي تتهددها والوصول إلى النصر من خلال اجتماع المسلمين في كافة أنحاء العالم وتوحدهم حول الغاية ذاتها، وحمل المشاعر ذاتها.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ:

"لو أن رجلاً صام النهار، وقام الليل، وتصدق، وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض في الله ما نفعه ذلك".

فإذا لم يتحد المسلمون بالصورة التي أمرهم الله بها، واتبعوا طريقاً غير الذي دلهم عليه فإنهم لا محالة ساقطون في وديان المذلة والهوان.وإنهم سوف يضطرون إلى الخضوع لأعداء الدين، والوقوع في قبضتهم، والعيش بعبودية وذل تحت سلطتهم.

يقول الله عز وجل في سورة الأنفال:

﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال: ١)

أي اخشوا الله ﷻ، واجتنبوا أسباب الفرقة والتنازع والتدابر التي تجلب غضبه، وأزيلوا من بينكم مظاهر التباغض والتناحر.

إذ لا ريب أنه إذا اختلفتم فيما بينكم فسوف تظهر الفرقة والتنازع ومن ثم يتعذر تحقق الغاية المنشودة.

ويقول الحق سبحانه وتعالى في سورة الأنفال أيضاً:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)

ينهى الله ﷻ المؤمنين عن الاختلاف والتنازع فيما بينهم، ويشير إلى نتيجتين خطيرتين سوف تظهران إذا ما وقعوا في التنازع، وهما:

١- حدوث الفشل، والضعف، والخوف، والهوان.

٢- ومن ثم ذهاب الهيبة والعظمة، والمنعة، والشوكة.

وعلى ذلك، فإنه لا يمكن الوصول إلى النصر والسلامة إلا عند توحد القلوب والغايات، ولا يتحققان إلا بكمال المطالب.

ولهذا فقد أمر الله تعالى المؤمنين باللقاء خمس مرات يومياً في المساجد، والاجتماع مرة واحدة أسبوعياً في الجوامع الرئيسية، ومرتين في السنة بمناسبة العيدين في مصلى جامع عام، والتوافد في موسم الحج من كل البلدان مرة واحدة في العمر للاجتماع عند بيت الله الحرام والتوجه معاً إلى عرفات للوقوف على صعيد واحد.

لقد خلق الله تعالى المخلوقات من أجل معرفته من خلال اتباع الشريعة المحمدية المطهرة، وحفظ قوانينه وأحكامه، والحقائق التي تتضمنها الأخوة الدينية، وتأمين حقوق كافة أفراد أمة محمد بالتوحد قولاً وفعلاً؛ وتحقيق العبودية، والالتزام بحقوق الربوبية. فهذه هي الغاية الأصلية للتعاون، والتفاهم والتوحد. ولهذا قال الله ﷻ:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

محمود سامي رمضان أوغلو، المصاحبة ١؛ ص، ١٧ – ٢١

من دروس
الشيخ موسى طوبّاش

الحب في الله عزّ وجلّ

إن أحد شروط الحب في الله هو تفضيل وإيثار الأخ لأخيه على نفسه في سائر أمور الدين والدنيا بكل ما يقدر عليه. يقول الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)

تتضمن هذه الآية إشارة إلى الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها تفضيل وإيثار الأخ في ميدان المحبة. وإن الخاصيتين الواردتين في الآية الكريمة، واللتين تفيدان الابتعاد عن الشعور بالحسد مما في أيدي الآخرين من شأنهما إتمام نقاء وصفاء المحبة والمودة.

فأما أولاهما فتعني انتزاع الحسد بشأن كل ما في يد الأخ من أمور الدين والدنيا. وأما الثانية فتعني تفضيل الأخ وإيثاره على نفسه قدر المستطاع.

وإن علامة خلوص المحبة لله تعالى وصفائها هي عدم اشتمالها على شائبة حظ ومطمع عاجل من رفق، أو إحسان، فإن كانت المحبة معلولة بمثل هذه العلة فإنها لا تنقى ولا تطهر إلا بإزالتها. والذي لا تقوم خلته وأخوته على منفعة دنيوية يُحكم بدوام خلته.

فمن يقوم بواجباته تجاه الله ويؤدي ما عليه من حقوقه فإن الحق ﷻ يرزقه بعلم معرفة النفس وعيوبها. ويعرفه على محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب . ويوقفه في أداء ما عليه من حقوق وتكاليف على بصيرة ويفقهه في ذلك كله. ويوفقه للوقوف على دقائق هذه الأمور. ولا يفوته شيءٌ مما يحتاج إليه فيما يتعلق بشأن حقوق الله تعالى وفي الأمور التي يتوجب عليه القيام بها تجاهه. وفيما يتعلق بحقوق الخلق. فكل العيوب وما إلى ذلك من التقصير تنجم من خبث النفس، ومن عدم تزكيتها، ومن بقاء الصفات النفسانية.

إذا حضرت النفس في مجالس الحديث والعلم فإنها أحياناً تشعر في ذاتها بالضيق لدرجة مفرطة. وأحياناً تزعج الآخرين وتتسبب لهم بالضيق. فتتجاوز حدودها في الأمور التي يتوجب مراعاتها أمام الحق وأمام الخلق، ومن الآداب التي ينبغي الالتزام بها في مجالس الوعظ والإرشاد، والأحاديث الدينية. فالحكايات والمواعظ والآداب وسماعها لا يُحدث في النفس زيادة تأثير. بل هي كبئر يصبُّ فيه الماء من فوقه فلا يمكث فيه ولا ينتفع. فلا تستفيد من الحسنات أبداً. وإذا ما أُخذت النفس بالتقوى، والزهد في الدنيا نبع منها ماء الحياة. وتفقهت، وعلمت، وأدت ما عليها من واجبات وحقوق تجاه الحق والخلق دون تقصير ولا نقصان. وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

يقول زيد بن أسلم:

خصلتان هما كمال أمرك: تُصبح لا تهمُّ لله بمعصية، وتمسي ولا تهمُّ بمعصية. فإذا أحكم الطالب الزهد والتقوى انكشفت له النفس، وخرجت من حجبها، وعلم طريق حركتها، وخفيَّ شهواتها ودسائسها وتلبيساتها. ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى.

موسى طوبّاش، مصاحبات آلتن أولوك- ٢، ص، ١٥٨- ١٦٠.

عثمان نوري طوباش

التصوف

وصولٌ إلى الكمال بالقرآن والسنة (٢)

التصوف؛ هو القضاء على الأهواء والرغبات النفسانية

فبناء على خطورة وأهمية الأمر يقول الحق ﷻ في القرآن الكريم بعد قسم متكرر ومتتالٍ سبع مرات:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

(الشمس: ٩- ١٠)

إن كلاً من هيمنة ثقافة العولمة، وأشكال الدعاية والإعلان، المثيرة لغرائز وشهوات النفس، وصيحات الموضة والأزياء التي تدفع إلى التبذير والإسراف بحثاً عن الرفاهية والنَّعيم، والحملات الإعلامية التي تشنها القنوات الفضائية ومواقع الانترنت ووسائل التواصل وما تقدمها من محتويات سلبية جلبت معها اليوم تلوثاً وانحطاطاً معنوياً وروحياً مريعاً. فقد صارت عوالم القلب والعقل لدى الناس في حالة فوضى عارمة، وانقلبت الأمور فيها رأساً على عقب. واختلطت الغاية والوسيلة. فباتت القاعدة الأساسية في المجتمعات، الحياة من أجل الطعام والشراب والاستهلاك، بدل الأكل والشرب من أجل الحياة، وبعبارة أخرى أصبحت القاعدة نعيش لنأكل ونشرب ونستهلك، بدل أن نأكل ونشرب لنعيش. صارت القلوب أسيرة الدنيا، وأمةً لأهواء وشهوات النفس. وأدخلت حالةُ الاضطراب والتذمر وانعدام القناعة التي سيطرت على الأرواح، الإنسانيةَ في أزمات ومعضلات فردية واجتماعية. وأخيراً جرى تلقين الناس مفهوماً دنيوياً بعيداً عن كافة الهواجس الأخروية، وكأنه ليست هناك آخرة.

ولهذه الأسباب فإن التربية التصوفية التي تعني تزكية النفس، وتصفية القلب تتمتع اليوم بأهمية أكبر من أي وقت مضى. لأن التصوف تعليم وتربية وتدريب على الحمد، والشكر، والرضا، والزهد، والاستغناء، والقناعة. إنه إدراك للحقيقة المتمثلة بأن الحياة الأصلية هي حياة الآخرة، وتخليص للقلب من الرغبات والشهوات النفسانية الدنيوية الزائلة.

إن كل شيء في التصوف يبدأ بعد حالة "الفناء"

فمجاهدة التصوف تهدف إلى اقتلاع الوجود، والأنانية، والغرور، والكبر من العالم الداخلي للإنسان ورميها جانباً، والأخذ به إلى إدراك حالة الفناء، والافتقار والعدم، ونكران الذات.

كان سلطان العارفين حضرة الشاه نقشبند من كبار الرجال، أي من السادة المشايخ وأرباب العلم. ورغم ذلك ففي السنوات الأولى لانتسابه والتحاقه بالتربية المعنوية كان ينظف الطرقات التي يمر فيها الناس، ويخدم المرضى، والعجزة، وحتى الحيوانات التي تعاني من جروح وإصابات. وبذلك وصل درجة عالية من التواضع وحالة الفناء.

وكذلك كان الشيخ خالد البغدادي يُسمى في العلم "شمس الشموس". ولما جاء إلى تكية الشيخ عبد الله الدهلوي لم يخرج الشيخ الدهلوي لاستقباله، فضلاً عن أنه لم يسند إليه في تكيته ومحرابه وحلقته أي وظيفة. وإنما كلفه أولاً بتنظيف بيت الخلاء من أجل القضاء على أنانيته وتحصيل حالة الفناء.

والأمر ذاته حدث مع الشيخ عزيز محمود هدائي، فمع أنه كان قاضي مدينة بورصة، فقد مر في تكية الشيخ أُفتادة بمراحل مشابهة لما ذكر في الأعلى من أجل الوصول إلى الفناء والعدم ونكران الذات. حيث أخذ يبيع الأكباد في أزقة بورصة وهو يرتدي عباءته المزركشة. ونتيجة لهذه المراحل النوعية التي قضى فيها على الغرور والكبر والأنانية صار مرشداً كاملاً يوجه سلاطين العالم. فقد جاء من بعده وحتى الآن عدد لا يُحصى من القضاة ومضوا كما جاؤوا؛ إلا حضرة هدائي، حيث بقي بسبب هذه الخصوصية التي تفرد بها، بقي حياً في القلوب منذ أربعمائة عام ولا يزال.

إذاً؛ إن كل شيء في التصوف يبدأ بعد بلوغ حالة "الفناء".

يقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني:

"إنما يترقى الرجال (الأولياء) بطهارة الباطن (تزكية النفس وتصفية القلب)، لا بكثرة العمل". (تذكرة الأولياء، ص، ٦٢٢)

"الصلاة، والصوم وسائر العبادات عظيمة، ولكن تصفية القلب من الكبر والحرص والحسد وغيره من الصفات الذميمة أعظم وأجل". (تذكرة الأولياء، ص، ٦٢٩)

وفي الحقيقة إنّ السر وراء ارتقاء كل الأولياء وأهل الله هو هذه الحالة من التواضع، والافتقار والعدم، والفناء.

وأما الخصلة الذميمة التي يكون تركها أكثر صعوبة ومشقة على النفس فهي: الغرور، والكبر، والأنانية. فقد قال أبو هاشم الصوفي الذي يُعد من المتصوفين الأوائل:

"إن اقتلاع الكبر المتمكن في القلب أشد وأصعب من حفر الجبال بإبرة".

إلا أنه إذا لم يتحقق هذا، فليس من الممكن تحصيل التكامل المعنوي والوصول إلى حالة "الإنسان الكامل" التي هي هدف الدين. إذ جاء في الحديث النبوي الشريف:

"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" (مسلم، الإيمان، ١٤٧)

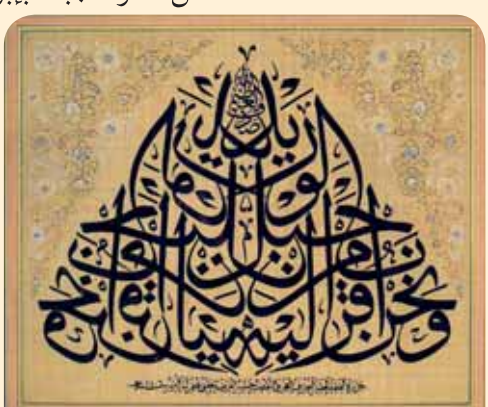

﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق:١٦)

وبناءً على ذلك؛ يُعد كل من الغرور، والعجب، والأنانية سرطان الطريق المعنوي. وإن غاية التربية التصوفية هي ترك "الأنا" المتولدة من النفسانية، وختم الأنانية بخاتم الإبطال والإلغاء.

وإن الكبر الذي يعني تقديم الأنا وإظهارها علامة جهنم. وأما تبديد الأنا/ الأنانية والقضاء عليها ففناءٌ في الحق وتعبير عن الافتقار والانعدام.

لما اعترض الشيطان الملعون على أمر الحق سبحانه وتعالى وارتكب خطيئته الأولى وقع أسيراً لغروره، وتكبره، وأنانيته فبدلاً من الاعتراف بذنبه وطلب العفو أصر على خطأه، ولم يندم على ذنبه. وبدلاً من تأنيب نفسه والتوبة، صار ضحية لعناده واستكباره. فحلت عليه لعنة الله ﷻ.

وارتكب أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام أول معصية ظهرت لدى البشر، وذلك باتباعهما الشيطان وأكلهما من ثمار الشجرة التي حرمها الله تعالى. إلا أنهما لم يفعلا كما فعل الشيطان، فلم يختلقا الأعذار والذرائع للتغطية على الخطيئة وتبريرها، وإنما سارعا إلى تأنيب نفسيهما والاعتراف بذنبهما وطلب المغفرة بكل صدق وإخلاص:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)

حيث أظهرا فضيلة العودة عن الخطأ والاعتراف به، فلجأ إلى رحمة الله تعالى ومغفرته بمشاعر الندم، والخجل، والتذلل. وتابا واستغفرا بإخلاص، ولما قبل الله ﷻ توبتهما صارا مظهراً لنيل اللطف الإلهي.

وانطلاقاً من ذلك؛ فإن أعظم مجاهدة في التصوف وضع حد للنفس أمام ربها ﷻ، وعدم السماح لها بالتمادي. إذ إنّ النفس تُعجب بذاتها حتى عند أداء العبادات، فتنشغل بتقصير وعيوب الآخرين وتستعلي عليهم بطريقة غير مباشرة.

يقول الشيخ سعدي الشيرازي في كتابه "كلستان":

كنت في صغري مولعاً بالعبادات لدرجة كبيرة. فكنت أقوم في الليالي وأنشغل بالعبادة. وذات ليلة كنت جالساً بجانب والدي، فلم تغمض عيني طوال الليل، ولم أترك القرآن من يدي. وكان هناك من هم نائمون حولنا. فقلت لأبي:

"لم لا يرفع أحد من هؤلاء رأسه فيتوضأ، ويصلي ركعتين تهجداً؟، إنهم نائمون مثل الأموات!".

فقطب أبي جبينه وقال:

"يابني! ليتك كنت نائماً مثلهم، بدلاً من خوضك في غيبتهم".

وكأن الأب يلقن ابنه سعدي درساً، فيقول: "إن الذين استحقرتهم وإن كانوا محرومين من فيوض وقت السحر، إلا أن الملائكة الكتبة لا تسجل عليهم شيئاً. وأما أنت، فقد كُتب في سجلك معصية ازدرائك بإخوانك في الدين، ومعصية الخوض في غيبتهم...".

إذاً؛ إن للنفس كما تبين من المثال المتقدم مكائد وحيل لا حصر لها، والتي تبدو في ظاهرها كأنها حق. فالإنسان الذي يشعر بالاستغناء في نفسه، ويقول "أنا" بمشاعر الاستعلاء والفوقية النفسانية وإن كان مرشداً يخدم في طريق المعنويات، فإنه بعيد عن حقيقة الطريق.

يقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني:
"إنما يترقى الرجال (الأولياء) بطهارة الباطن (تزكية النفس وتصفية القلب)، لا بكثرة العمل".
"الصلاة، والصوم وسائر العبادات عظيمة، ولكن تصفية القلب من الكبر والحرص والحسد وغيره من الصفات الذميمة أعظم وأجل".
وفي الحقيقة فإن السر وراء ارتقاء كل الأولياء وأهل الله هو هذه الحالة من التواضع، والافتقار والعدم، والفناء.

إن من شأن قيام بعض المرشدين المعنويين وخاصة في أيامنا هذه بأعمال وتصرفات تنمّ عن الغرور، والأثرة، والأنانية لدرجة الادعاء بقوى وقدرات وسلطة وحصرها بأنفسهم، من شأنه تسميم الطريق الذي يمثلونه، وتلطيخ شفافية ولطافة الطريق المعنوي الذي يسيرون عليه. إذ أن طريق التصوف كما يعبر في المثل "المحكمة ليست ملكاً للقاضي"، وكذا ليس حقاً مكتسباً لأحد أبداً...

التصوف؛ صحبة الصالحين

يعطي الشيخ سعدي أمثلة عن كيفية سريان الأحوال إلى الآخرين، وتأثيرها في تغيير حياة الشخص المعنوية، فيقول:

"لقد نال كلب أهل الكهف قطمير شرفاً عظيماً لصحبته الصادقين؛ فورد ذكره في القرآن الكريم. وأما امرأة نوح، وامرأة لوط فقد استحقتا نار جهنم لأنهما كانتا مع الفاسقين بقلبيهما. (ولم يشفع لهما أن زوجيهما كانا من الأنبياء)".

ولهذا فإن الله ﷻ يحث المؤمنين على صحبة عباده الصادقين والصالحين، فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التوبة: ١١٩)

وإذا لاحظنا هنا فإن الله تعالى لا يقول في هذه الآية الكريمة "**كونوا صادقين**"، وإنما يقول "كونوا مع الصادقين". لأن من أبسط نتائج صحبة الصادقين أن يصبح الإنسان صادقاً.

يقول الشيخ عبيد الله أحرار:

"إن الأمر الوارد في الآية الكريمة "**كونوا مع الصادقين**" يفيد المعية والصحبة الدائمة. ولأن "الصحبة/ المعية" ذكرت في الآية بصورة مطلقة، فإنها تدل على الصحبة الفعلية والحكمية معاً. فالصحبة الفعلية هي التواجد المادي الحقيقي في مجالس الصادقين وبحضور قلبي. وأما الصحبة الحكمية فهي تخيل أحوالهم في غيابهم والاندماج معها ".

فمحبة الصالحين، والإحساس بمعيتهم حتى في غيابهم، والنظر إلى الحياة وحوادثها بمنظارهم يُكسب الإنسان نشاطاً وحيوية معنوية كبيرة. وقد أولي في التصوف أهمية كبيرة للرابطة لملاحظة تحقيقها هذه الفائدة المعنوية.

الصحبة/ المعية القلبية: الرابطة...

الرابطة هي عبارة عن الاحتفاظ بالمحبة حية ونشطة بشكل دائم. وفي الواقع لا يوجد في الكون إنسان بدون رابطة. فكل إنسان مرتبط قلبياً بأحد ما. فالأم والأب مرتبطين بأولادهما، والأولاد مرتبطون بأمهاتهم وآبائهم، والخطيب مرتبط بخطيبته، وهناك رابطة القدوة والمثل الأعلى أيضاً، حيث يحب الشاب شخصاً فيتخذه مثله الأعلى، وهلم جراً. أي إن كانت رابطة المحبة الطبيعية هذه موجودة حتى في الأشياء الدنيوية والفانية، فلا يمكن إذاً التفكير بعدم وجود هذه الرابطة في المعنويات.

إن أفضل وأجمل مثال للرابطة بالمعنى التصوفي هو رابطة المحبة التي كانت بين الصحابة الكرام والنبي عليه الصلاة والسلام.

فحالة الانعكاس والانصباغ التي ظهرت في أرواح الصحابة الكرام من خلال روابطهم القلبية مع رسول الله ﷺ أدت إلى سريان أحوال النبي ﷺ إليهم. ولهذا كان الصحابة الكرام يشعرون بلذة ونشوة عظيمة

عندما يقولون له بصدق وإخلاص: "فداك أمي وأبي ونفسي ومالي يا رسول الله!". فكانوا يمنون على أنفسهم بالتضحية بكل شيء في سبيل الله ورسوله.

فهم قد نفذوا إلى مضمون وروح الحديث الشريف:

"**المرء مع من أحب**" (البخاري، الأدب، ٩٦)،

فحققوا مع النبي ﷺ حتى في غيابه الوحدة/ الصحبة بالحال، وبالفعل، والمشاعر، والفكر. وببركة هذه الصحبة صاروا مظهراً لألطاف الله ﷻ ومكارمه الفريدة.

فلما غدر المشركون بالصحابي خُبيب ﷺ ووقع أسيراً بين يديهم، وأرادوا قتله في مكة، كانت له أمنية وحيدة قبل قتله واستشهاده، وهي أن يبعث بسلام مليء بالمحبة إلى رسول الله ﷺ... ولكن مع من؟! فالكل عدو له، فاتجه بعينيه نحو السماء توجه العاجز، وتضرع قائلاً:

"**اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم إنه ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك السلام عني، فبلغه أنت عني السلام!**".

وفي تلك الأثناء كان النبي ﷺ جالساً مع أصحابه في المدينة، فقال:

"**وعليه السلام ورحمة الله**".

فتعجب الصحابة من ذلك، وقالوا:

على من رددت السلام يا رسول الله؟!. فقال ﷺ:

"**هذا جبريل يقرئني من أخيكم خبيب السلام**".

(انظر: البخاري، الجهاد، ١٧٠، المغازي، ١٠، ٢٨)

وكان رسول الله قد أرسل عثمان ﷺ إلى مكة سفيراً قبل عقد معاهدة الحديبية مع المشركين. ورغم أن عثماناً ﷺ أخبرهم أن نيتهم من المجيء هي أداء مناسك العمرة ثم العودة، إلا أن المشركين لم يأذنوا لهم. وفوق ذلك احتبسوه في مكة ووضعوه تحت المراقبة، وقالوا له:

إن شئت أن تطوف بالبيت، فطف به!..

إلا أن ذاك الصحابي الجليل الذي جعل نفسه فداء لله ولرسوله أعطاهم درساً عظيماً في الإخلاص، حيث قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. (أحمد، ٤، ٣٢٤)

ومن جانب آخر؛ لما وصلت شائعة استشهاد عثمان ﷺ إلى المؤمنين الذين كانوا ينتظرون في الحديبية، قابل رسول الله ﷺ إخلاصه بإخلاص أعظم، حيث أخذ من أصحابه عهداً وبيعة على محاربة المشركين إن لزم الأمر. ثم قال بيده اليمنى:

"**هذه يد عثمان. فضرب بها على يده الأخرى، وقال: هذه لعثمان** (أي بيعة عثمان)". (البخاري، أصحاب النبي، ٧) مظهراً بذلك مدى اعتماده عليه.

فهكذا كان شعور الصحابة الكرام بمعية رسول الله القلبية معهم حتى في غيابه عنهم. وكأنهم كانوا يعيشون بقلب واحد في أبدان متفرقة.

ولا شك أن خير مثال من بين الصحابة في مسألة الرابطة هي الارتباط القلبي لأبي بكر الصديق ﷺ مع رسول الله ﷺ.

فقد كان الصديق ﷺ مرتبطاً ومتعلقاً برسول الله بعشق ومحبة شديدة لا مثيل لها، لدرجة أن ابتسامة من رسول الله ﷺ كانت تجعله في حالة رضا لو وزعت على الدنيا لكفتهم. وكان مستعداً للتضحية

بكل شيءٍ في سبيله. حتى إنّ النبي ﷺ أثنى ذات مرة على صاحبه الكريم هذا ولاطفه بقوله:

"ما نفعني مال قَطُّ ما نفعني مال أبي بكر...".

فبكى هذا الصحابي الجليل الذي كان قمة في الصدق والإخلاص وجعل نفسه وماله فداء لرسول الله، وامتلأت عيناه بالدموع، وقال:

"وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟!".

(ابن ماجه، المقدمة، ١١. وغيره)

فعبر بذلك عن أنه قد جعل نفسه وماله وكل ما يملك فداء لرسول الله، وأنه معه وطوع أمره روحاً وقلباً وجسداً. وذلك لأن قلبه كان قد صار مرآة ناصعة براقة تعكس عالم قلب النبي ﷺ. وأصبح من خلال ذلك بيت الأسرار النبوية. وقد اكسبه كل شيء يخص فخر الكائنات عليه الصلاة والسلام معنى عميقاً وأهمية عظيمة ومكانةً كبيرةً في قلبه الطاهر. حتى أن أبا بكر ﷺ صار خير الصحابة فهماً وإدراكاً لمعاني آيات الله تعالى، وأحاديث النبي ﷺ وأسرار وحكم هذه الأحاديث. فنفذ إلى الكثير من الأسرار والحكم النبوية التي عجز عنها الناس وذلك ببصيرته وفراسته الفريدة. ففي حجة الوداع نزل قول الله تعالى:

﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...﴾ (المائدة: ٣)

ففرح الناس بهذه الآية لاكتمال الدين. إلا أبا بكر أدرك حقيقة وسر هذه الآية، وأنها دعوة من الله تعالى لرسول الله أحب الخلق إلى قلبه من أجل الالتحاق إلى العالم الأبدي. فغرق في الحزن، وتألم من نار الفراق التي ألهبت قلبه.

وأحد الأمثلة الأخرى التي تظهر فهمه وإدراكه الدقيق والعميق لأسرار الأمور هو:

لم يكن النبي ﷺ في أيامه الأخيرة يستطيع الخروج إلى المسجد لاشتداد المرض عليه. فكلف أبا بكر ﷺ ليصلي بالناس إماماً. وذات مرة خف المرض على النبي ﷺ فخرج إلى المسجد. فخطب في الصحابة ووعظهم ثم قال:

"إن الله ﷻ خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده. فاختار ذلك العبد ما عند الله!.."

وما إن بلغت هذه الكلمات سمْع أبي بكر ﷺ حتى خيم حزن شديد على قلبه الحساس الرقيق، ثم بدأ يبكي وتسيل الدموع من عينيه المباركتين. فقد أحس أن النبي ﷺ يودعهم بهذه الخطبة. وبدأ ينوح مثل الناي الذي يئن من ألم الفراق. فقال وهو يجهش بالبكاء: بأبي أنت وأمي يا رسول الله!، بل نفديك بأموالنا، وأنفسنا، وأولادنا!..". (أحمد، ٣، ٩١)

لم يستطع أحد من الحاضرين غيره إدراك مشاعر رسول الله ﷺ العميقة، وأنه في حالة وداع للدنيا. حتى أن الصحابة لم يأبهوا لبكاء أبي بكر ﷺ ولم يحملوه أي معنى، بل وتعجبوا منه، وقالوا: "انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، ويبكي". (البخاري، الصلاة، ٨٠)

قد اكسب أبا بكر ﷺ
كل شيء يخص فخر الكائنات ﷺ
معنى عميقاً وأهمية عظيمة في قلبه الطاهر.
حتى إن أبا بكر ﷺ صار خير الصحابة فهماً
وإدراكاً لمعاني آيات الله تعالى، وأحاديث النبي
ﷺ وأسرار وحكم هذه الأحاديث. فنفذ إلى
الكثير من الأسرار والحكم النبوية التي عجز
عنها الناس وذلك ببصيرته وفراسته الفريدة.
ففي حجة الوداع نزل قول الله تعالى:
﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...﴾
ففرح الناس بهذه الآية لاكتمال الدين.
إلا أبا بكر أدرك حقيقة وسر
هذه الآية.

لأنه لم يخطر ببالهم، ولم يدركوا أن العبد المخير ما بين زهرة الدنيا وبين ما عند الله كان النبي ﷺ.

ثم تابع النبي ﷺ كلامه مواسياً أبا بكر ﷺ من جهة، ومبيناً مقامه ومكانته للصحابة من جهة أخرى، فقال:

"ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بمثلها أو بأفضل منها، ما خلا أبا بكر، فإنّ له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة... يا أبا بكر لا تبك، إن أَمَنَّ الناس علَّي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته."

وقبل انتقال النبي ﷺ إلى دار البقاء قال:

"لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر!". [1]

"إني أرى على باب أبي بكر نوراً". [2]

فأغلقت كافة الأبواب إلا باب أبي بكر ﷺ بقي مفتوحاً. وهذا يدل بالمعنى الإشاري على أن باب التقرب المعنوي إلى النبي ﷺ يُفتح بمحبة، وصدق، وإخلاص، وطاعة وتسليم، وتضحية، وصحبة مماثلة لما كان عليه الصديق ﷺ مع النبي ﷺ.

الذي في اليمن معي...

إذا حصلت المعية الظاهرية إلى جانب المعية القلبية مع الأولياء فذلك "نور على نور". إلا أن المعية الظاهرية الجافة ليست مقبولة في التربية التصوفية. لأن هناك الكثير ممن يلازمون مرشداً كاملاً ويجالسونه كتفاً إلى كتف، إلا أنهم بسبب غفلتهم لا يأخذون منه أي نصيب من الأحاسيس المعنوية.

وبالمقابل؛ فإن هناك الكثير من المريدين المخلصين الذين يقطنون في بلاد بعيدة وقصية بإمكانهم نيل نصيب وافر من المعنويات من خلال ارتباطهم القلبي بمرشديهم، وما يكنونه لهم من مشاعر المحبة والاحترام والإجلال، والشوق.

وقد قال كبار الرجال والأولياء "الذي في اليمن معي، والذي بجانبي في اليمن". ولهذا فإن الأمر المهم هو الرابطة بغض النظر عن المكان الذي نكون فيه، أي عدم التفريط بإحساس المعية القلبية.

وقد قال النبي ﷺ أيضاً:

"إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا ".

(أحمد، ٥، ٢٣٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، بيروت، ١٩٨٨، ٩، ٢٢)

لقد جرى من قِبل البعض وخاصة في القرن التاسع عشر توجيه انتقادات شديدة للرابطة التي هي منهج وأسلوب مهم في التربية الصوفية، وأُظهر الأمر وكأنه مسألة إيمان وكفر. والحال أن الرابطة – كما أسلفنا من قبل – أمر نفسي طبيعي وبغاية البساطة. فليس للرابطة التي تُفهم وتُطبق هكذا أي جانب يخدش بالاعتقاد.

والحاصل؛ إن الرابطة هي عبارة عن حفظ المريد محبة مرشده حية وغضة في قلبه بشكل دائم، والعمل على تقليد أعماله الصالحة وأحواله الحسنة. إذ أن محبة الصالحين مؤثرة وذات فائدة بقدر إرشاداتهم ومواعظهم...

الرابطة التي تعني المحافظة على المحبة حية وغضة في القلب، هي تقوية الارتباط والعلاقة القلبية مع سلسلة المرشدين الكاملين الذين وصلوا إلى النبي ﷺ والعمل على الاستفادة من هذه المعية معنوياً. إن الرابطة هي عبارة عن حفظ المريد محبة مرشده حية وغضة في قلبه بشكل دائم، والعمل على تقليد أعمالهم الصالحة وأحوالهم الحسنة. إذ أن محبة الصالحين مؤثرة وذات فائدة بقدر إرشاداتهم ومواعظهم.

١ (البخاري، أصحاب النبي، ٣، مناقب الأنصار، ٤٥، الصلاة، ٨٠؛ مسلم، فضائل الصحابة، ٢، الترمذي، المناقب، ١٥).

٢ ابن سعد، ٢، ٢٢٧؛ علي المتقي، الكنز، ١٢، ٥٢٣/ ٣٥٦٨٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٠، ٢٥٠

التصوف منهج السيرة، وليس منهج الصورة !..

يجب – بحكم العلاقة – أن نتناول بشأن الاستفادة المعنوية من الأولياء والصالحين موضوع الصور بشكل مختصر:

نشاهد اليوم وبحكم وفرة الإمكانات والوسائل التقنية انتشاراً واسعاً لظاهرة التصوير. فقد تحول كل مكان إلى ما يشبه استديو تصوير، وصار كل إنسان مصوراً. وإذا وضعنا الأوقات والأماكن العادية جانباً، فإننا نشاهد وبكل أسف انشغال الناس المفرط والمتجاوز لكل الحدود بالتقاط الصور، وتصوير مقاطع الفيديو قد امتد إلى أوقات وميادين لها خصوصية حساسة وهي العبادات، حيث تجد هذا الأمر حتى أثناء الطواف بالكعبة، والوقوف في عرفة، و زيارة الروضة الشريفة.

إن هذا الأمر من قبيل الأعمال العبثية التي من شأنها الإخلال بفيوض العبادة وروحانيتها، وإفسادها.

ومع الأسف فإن الأمر ذاته يحدث في المجالس المعنوية أيضاً. ففي حين أن المعية القلبية في المجالس المعنوية تستوجب التركيز على الفائدة المعنوية بالتفكر، والتأمل والغوص في المشاعر الباطنية، فإننا نشاهد – ربما بحسن نية وبهدف الاحتفاظ بذكرى معنوية – وبكثرة انكباباً على التقاط الصور وتصوير مقاطع الفيديو. فليس من الصواب إيلاء هذا الأمر أهمية أكبر من حجمه وحده. فكما أن الدواء عند تجاوز الجرعات المحددة يتحول إلى سمّ مميت بدل تحقيق الشفاء؛ فإن هذه الأمور كذلك يمكن أن تلحق ضرراً بمعنويات الشخص إذا زادت عن حدها.

وينبغي أن نتذكر أن الكاميرات الإلهية تصور وتسجل بطبيعة الحال كل لحظة من لحظات حياتنا. وسوف تُعرض هذه التسجيلات أمام أعيننا في الآخرة...

كما أسلفنا من قبل فإن الأمر المهم في معية الصالحين والرابطة ليست المعية الظاهرية، والشكلية، والصورية، وإنما المهم هو المعية القلبية والروحية.

يقول حضرة سامي أفندي:

"ليس في الرابطة حاجة إلى التفكر بصورة المرشد. وإنما تجب المحبة فقط. وبطبيعة الحال فإن الإنسان يستحضر محبوبه أمام عينيه (قلبه) على الدوام". (محمود سامي رمضان أوغلو، المصاحبة، ج ٦، ص، ١٥١، منشورات الأرقم، اسطنبول، ١٩٨٢)

إن الصورة تحبس تخيل وتصور الإنسان بإمكانية الانتقال إلى الأبدية والمجرد ضمن حيز المادي وبحدوده. وعدا عن ذلك فإن أحكام الإسلام بشأن الصور معروفة ولا تخفى على أحد. وإن صور الناس هي جانبهم الظرفي. وأما الشيء المهم فهو مظروف الإنسان، أي عالم القلب. وإن منهج التصوف هو منهج السيرة وليس منهج الصورة. فالمقصود من صحبة الصالحين والصادقين هي الصحبة مع سيرهم أكثر من صورهم. فالصور الأساسية التي لها فائدة هي الانعكاسات التي تكون في العالم الداخلي، هي الذكريات والانطباعات التي تبقى في القلوب.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا جميعاً نصيباً من فيض قلوب أحبائه، ويوفقنا للتخلق بأخلاقهم، ويجعل لنا قلباً سليماً ذاكراً، ومتفكراً وشاكراً...

المؤمن لا ينقطع عمله

نور الدين يلدز

المؤمن إنسان القرآن. فبالقرآن يستدل على طريقه ويسلكه. والقرآن يشكله. وعندما يدل القرآن الكريم المؤمن على المنهج أو الطريقة التي يصبح فيها منشرح القلب مطمئناً، فإنه يشير في سورة الانشراح إلى أن عمله دائم لا ينقطع ، حيث يقول:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾

فالانشراح يعني السرور وانفراج السريرة. إن القرآن الكريم دليل حياة المؤمن، وعندما يرشده إلى طريق الانشراح فإنه يدعوه إلى الانتقال من عمل إلى عمل. لقد صارت الدنيا مكاناً قابلاً للحياة لكون النهار يعقب الليل، والليل يعقب النهار. فلولا تعاقب الليل والنهار لتوقفت الحياة على الأرض. وإن مفهوم العمل لدى المؤمن كتعاقب الليل والنهار، وحلول أحدهما محل الآخر بالتناوب. حيث أنه يستمر بالسعي متنقلاً من عمل إلى عمل. فهو ما إن ينتهي من العبادة حتى يتجه إلى مكان العمل، وما إن يعود إلى بيته من العمل حتى ينتقل إلى الوقف، ومن الوقف يتحول إلى صلة الأرحام، ومن هناك ينتقل إلى حيث يجب أن ينتقل المؤمن. وهكذا فإن

المؤمن يصبح مرتبطاً بنظام القلب المنشرح الذي دله ربه تعالى إليه.

إن المؤمن الذي بحالة سعي وعمل دائم يكون فعالاً ونشيطاً أكثر من المؤمن الذي يستخدم أوقاتاً معينة لعمله. فالإنسان الذي هو متواصل العمل، وكثير الانشغال ينجز أعمالاً أكثر. حيث من المؤكد أن "الذين ينشغلون بأعمالهم ينجزونها حتماً".

وأما الذين يبحثون عن أجواء وأوقات مناسبة لإنجاز العمل المطلوب منهم فلن يجدوا ما يبحون عنه. حيث إنَّ بحث الإنسان الذي يفتش عن دنيا يسودها ربيع دائم لا صيف فيها ولا شتاء لإمضاء يوم جميل بحث عبثي عقيم. فالدنيا ليست مكاناً لمثل هذا الأمر، وإنما الدنيا مكان لمن يعرفون العيش وسط العواصف والأمواج العاتية، مكان لمن يبحثون عن العمل داخل العمل.

إن المؤمن رجل أعمال. ولأنه رجل أعمال فإنه لا يتوانى أبداً عن استخدام الطاقات والإمكانات التي أكرمه الله تعالى بها حتى النهاية. وإنه صبور، ومن أهل الثبات. وبالنظر من هذه الناحية فإن دخول الإنسان في دائرة الإيمان يشكل سداً مانعاً أمام اعتبار عمل ما عائقاً لعمل آخر. فالتذرع بكثرة الأعمال أمر غير مقبول. كما ليس من المقبول للإنسان المؤمن إمضاء العمر بعمل واحد والتقوقع ضمن حلقة مفرغة عقيمة بينما يعيش الحياة بكل ألوانها وتنوعها.

وإن أداء كل عمل بإتقان وبأفضل صورة يمكن أداؤه بها صفة مميزة للمؤمن. فالمؤمن لا يقدم على عمل اعتباطي وعشوائي. وإن اتقان المؤمن هذا ليس برخصة مخصصة لعمل واحد يبدأ وينتهي فيه. وإنما المؤمن يقوم بالأفضل من جهة، ومن جهة يُتبع العمل بعمل آخر، إذ ما إن يفرغ من مهمة حتى يتحول إلى أخرى. ولا يمكن أن يشكل التخصص عائقاً أمام هذه الاتقان. فاختصاصنا بفرع ما هو اسم يُطلق على الإمكانية التي بين أيدينا لتأمين رزقنا. وأما ما نقصده بالعمل كمؤمنين فليس العمل الذي نقوم به لتأمين رزقنا. وإنما ننظر إلى العمل من زاوية أوسع. فكما أن الحياة لن تكون مجرد عمل في مصنع فإن العمل كذلك ليس مجرد العمل في المصنع أيضاً. فالعمل بالنسبة للإنسان المسلم الذي يستسلم للإسلام المحيط بالحياة بكل نواحيها هو كل عمل يقوم به وينبغي القيام به حتى تسليم روحه لخالقها.

المؤمن ينظر إلى العمل الذي يؤديه لتأمين رزقه وأسباب معاشه على أنه عبادة، فالعمل بالنسبة للإنسان المسلم الذي يستسلم للإسلام المحيط بالحياة بكل نواحيها هو كل عمل يقوم به وينبغي القيام به حتى تسليم روحه لخالقها.

يمكن أن نبدأ قائمة العمل بالعمل الذي نقوم به لتأمين رزقنا. فالمؤمن ينظر إلى العمل الذي يؤديه لتأمين رزقه وأسباب معاشه على أنه عبادة، وكذلك يرى كل سعي متعلق به من بين الأعمال "التي ما ينتهي من أحدها حتى ينتقل إلى الآخر".

فإدارة شؤون البيت عمل، وكل مسؤولية كُلف بها الرجل أو المرأة من قبل الله تعالى بشأن البيت عمل أيضاً. والمؤمن يرى هذا العمل عبادة، وحتى يعتبره نوعاً من الجهاد أيضاً. ومن أهم وأولى الأعمال في البيت المحافظة على الشرف والعفة، وتربية الأبناء، وخدمة الأبوين.

ويرى المؤمن أن أداء العبادات وعلى رأسها الصلاة من بين الأعمال المكلف بإنجازها. حتى أنه يعتبر أن لا معنى لحياته من دون هذه العبادات وفي مقدمتها الفرائض. وعندما تكون هذه العبادة معادلة للجهاد فإن وتيرة العمل والسعي تزداد، ويبلغ أمل الكسب والفوز ذروته. ويصبح المؤمن أكثر حماساً وإنتاجاً وإثماراً.

لا يمكن أن يكون المؤمن سلبياً وانطوائياً في الحياة أبداً. فليس للمؤمن التفكير بالخروج إلى الجبال والاعتزال فيها ليكون مؤمناً صالحاً. فالمؤمن إنسان يعمل على توجيه المجتمع الذي يعيش فيه وفق إيمانه. والمؤمن إنسان اجتماعي. فلا يمكن أن يكون تصوره ومفهومه للحياة محدوداً بحدود بيته. وليس بالرجل الذي تمتلئ قائمته بأقربائه فحسب. فالمؤمن إنسان الأمة؛ فهو موجود بالأمة، وللأمة. ولهذا فإنك تراه وقت الظهيرة في جنازة أحد إخوانه المؤمنين، وعند العصر مشاركاً في فرح مؤمن آخر، وفي المساء تراه مجتمعاً مع إخوانه المؤمنين إما في مقر إحدى الجمعيات، وإما في إحدى حلقات التدريس أو الذكر. ولدى العودة إلى البيت في الليل تراه في السرير مع امرأته.

إن المؤمن فعال ونشيط، فهو مستعد لأي عمل أو مهمة يكلف بها، وينجز ما يُكلف به بإتقان، وهو بهذه الحال يحمل ذات الأوصاف التي كان يتمتع بها أولئك الذين حولوا الإسلام إلى دولة عظيمة خلال ثلاث وعشرين سنة. فالحفاظ على استمرار جيل الصحابة الذين كانوا ينجحون في اللقاء بأزواجهم والاهتمام بأبنائهم وهم في خضم النضال والتنقل من جبهة إلى أخرى لا يكون بالرثاء والوقوف على الأطلال، وإنما بمفهوم الجد والسعي والعمل الذي نتحدث عنه. فقد صار هذا الجيل الذي حمل الدنيا في كفه إلا أنه ظل ساجداً وكأن جبينه قد التصق بسجادته، صار في هذه الدنيا رمزاً للعمل والسعي.

وإن المؤمن بدوره هو الإنسان الذي يتبع إيمان هؤلاء، ويتبنى مفهوم العمل الذي كانوا يحملونه. فشعاره بذل كل ما بوسعه بدل اختلاق الحجج والمعاذير. والمؤمن إنسان يقف في مركز الحياة بكل زمان ومكان لذلك فإن عمله لا ينقطع ولا ينتهي، ولا يريده أن ينتهي أبداً. فكلما فرغ من عملٍ شَرع في عمل آخر، فمهمته لا تنتهي. وإن كثرة العمل لا تنهكه ولا تصيبه بالملل. فهو يعتبر أنه وُجد من أجل العمل والسعي. فالمؤمن مثل الشمس، يمنح الحرارة للتراب وللماء معاً.

علينا أن نفكر؛ هل نفرح لانتهاء الأعمال التي بين أيدينا. وبم سنفرح يا ترى؛ هل نفرح لانجاز عملٍ واحدٍ من بين الأعمال التي تعامينا عنها ونحن مؤمنين؟ أليس هذا الفرح بكاء في الحقيقة؟

قال رسول الله ﷺ:

(عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ،أَوْ قَالَ: بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ). [البخاري، الزكاة، رقم ١٣٧٦]

ويدلُّ الحديثُ على أنَّ عمل المسلم صدقةً، بل واجبٌ عليه أن يعملَ بما ينفعُ الآخرين ويفيدهم، فيصبحُ المسلمُ رمزاً للنشاطِ والعملِ والإتقانِ ونفعِ المجتمعِ الذي يعيشُ فيه، وفي الحديث تنبيه للعبد المعسر على أن يجتهد ويعمل بيده، وينفق على نفسه، وأهل بيته، ويتصدّق من ماله هذا، وألّا يكون عبئاً على غيره، وفي الحديث أيضاً بيان على أن أبواب الخير كثيرة، وإذا لم يقدر العبد على أحد هذه الأبواب، فعليه البحث عن غيره من أبواب الخير، والبحث عن أي عمل يُرضي به الله ﷻ.

أسير العبودية

فاطمة ديلَك تشفيك أوغلو

إن الحرية تتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة لنا، أليس كذلك؟ حسنٌ، فهل نحن أحرار بالمعنى الحقيقي؟ وكيف لنا الوصول إلى الحرية التي نريدها؟ وهل تعلمون أيها الإخوة في أي الأمور أحرار نحن!، إننا أحرار في اختيار عبودية من بين عبوديتين مختلفتين.

أما أولاهما فهي عبارة عن ضلال تلهينا وتعيقنا عن مهمتنا ووظيفتنا الأصلية. إن النفس الأمارة (التي لم تخضع للتربية والتزكية) بمقتضى طبيعتها تنشب مخالبها في أجسادنا وتريد الاستمرار بالهيمنة والسيطرة علينا. وترينا رغباتها ومبتغياتها وكأنها رغباتنا. والحال أن هذه النفس هي عدوة لنا وقد جاء ذكرها والتحذير منها في الحديث القدسي:

(أعدى عدّوك نفسك التي بين جنبيك). فكيف للنفس التي هي مصدر العجب والكبر، وأداة الامتحان في هذه الدنيا إلى جانب الشيطان الذي تحدى الله تعالى وأقسم على تضليل الإنسان وإغوائه وإخراجه عن الصراط المستقيم وقد جعلته ألعوبة بين يديها، كيف لها أن تريد لنا الخير؟ فمعرفتها ليست إلا عبارة عن تضليل ووضع غشاوة على العين. إنها مثل الطفل المدلل تطلب ثم تطلب وتصر على الرغبات والمطالب حتى يصبح الإنسان أسيراً للنزوات والأهواء. فأي حرية بعد ذلك للأسير إن كان في الأسر؟

وأما العبودية الثانية فهي العبودية لله تعالى، ويا له من أسر جميل حيث يخر الكثير من الملوك والسلاطين ركعاً أمامه. فمن ذاق طعم مثل هذا الأسر فإنه لا يفكر بغيره أبداً، إنه يكون قد بلغ الحرية الأصلية. إنه العبد الذي تتجمع وتختزل كل حاجاته ومطالبه في العبودية ذاتها. إنه لشرف عظيم، ومقام رفيع، إذ يكون الإنسان عبداً لله تعالى المنزه عن كل نقص، والذي ليس كمثله شيء. حيث يقول النبي ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحته ولا فخر. وأنا إمام الناس وخطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ولا فخر. لا فخر لي إلا أني عبد الله". (أبو داوود، ٤٦٧٣؛ مسلم، ٢٢٧٨)

فمن يدير ظهره لهذه النعمة ويتنكر لها فهو ظالم لنفسه قبل كل شيءٍ. فالروح لا تجد صفاءها وسكينتها إلا بجفاء العبودية. إن ذاك الجفاء يحتوي على خوارق كثيرة، والخائف من خوضه لا يمكن أن يدرك هذه المزايا والمحاسن أبداً.

أمامنا فرصة اختيار حتى نهاية هذا الامتحان. فالباب الذي يؤدي إلى الطريق القويم والصراط المستقيم مشرع على مصراعيه، ويُنادى علينا "هلمَّ" إليه. وما علينا سوى إلقاء خطوة صحيحة نحوه. فإن نحن تقدَّمنا خطوة فإن هناك محباً مستعداً للسعي والهرولة إلينا، ويبحث عن أدنى ممسك وذريعة للعفو عنا. بينما العدوان اللدودان النفس والشيطان لا يعداننا إلا بالندم والحسرة، ولا هدف لهما سوى جعل ابن آدم أداة لتحديهما الأحمق.

والآن أسألكم ونفسي: من يستحق الحب والطاعة أكثر؟ وهل نكون أحراراً باختيار العبودية للهوى والنفس، أم باختيار العبودية للحق سبحانه وتعالى؟

مسؤولية الرجل بشأن مظهر المرأة

نسلي خان تُرك

إن حِمل الحكام وأولي الأمر ثقيل للغاية. فهم مكلفون ومجبورون لما يتمتعون به من قوة بدنياً وقلبياً بحماية مكاسب ومصالح من هم تحت إمرتهم وولايتهم الدنيوية والأخروية، وتلبية احتياجاتهم المادية والمعنوية. فالحاكم راع ومسؤول عن رعيته. ولأن النساء ضعيفات بطبيعتهن الخَلقية وبحاجة إلى الحماية والرعاية فقد أسندت مسؤولية حمايتهن وإدارة شؤونهن للرجال. فكما جاء في الحديث الشريف:

"...فالرجل راع لأهل بيته، ومسؤول عن رعيته"

(البخاري، الأحكام، ١)

إن الرجال قوامون على النساء ومسؤولون عن إدارة شؤونهن وتأمين حمايتهن بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم. حيث يقول الله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾ (النساء: ٣٤)

وإن حق النساء على الرجال الإحسان إليهن في كسهوتهن وطعامهن وشرابهن. (انظر: ابن ماجه، النكاح، ٥)

عندما يقوم الرجل نظراً لتفوقه االبدني والخَلقي بإدارة شؤون بيته وأسرته بحق فإنه يسمو ويعلو، وإن مثل هذا الرجل يحوز احترام وتقدير العائلة والمجتمع على السواء.

ومن جهة أخرى فقد تم التأكيد على الدور الكبير والمؤثر للرجل في حياة المرأة وفي تحديد نمط وشكل هذه الحياة، حيث قيل في الأثر:

"برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعفَّ نساؤكم".

(الطبراني، المعجم الأوسط، ١/ ٢٩٩)

إلا أننا نشاهد في لقاءات ومقابلات الزواج اليوم حوارات عجيبة، حيث يوجه الرجال أسئلة من قبيل:

"ألا تفكرين بتقصير عباءتك، ووضع المكياج؟ أنا غني جداً. فهل إن اشتريت لك سيارة، لا تسألينني عن عدم إقامتي للصلاة؟ هل تعملين بأعمال حرة

أم موظفة؟ لم تستغربين من سؤالي، فكيف سنشتري سيارة وبيتاً إن لم تعملي أنت أيضاً؟".

حسب الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فإنه ليس هناك أدنى احتمال للرجولة والاحترام لدى الرجل الذي يوجه مثل هذه الأسئلة. فعندما يصبح ما يشغل تفكير الرجل/ الشاب أمور مثل: كيفية تربية عضلات أفضل، وصالون التجميل الذي سيلجأ إليه لإزالة الشعر الزائد من وجهه، وطريقة القضاء عليه، والماركة التي يريد ارتداءها للحصول على شخصية أكثر جاذبية ولفتاً للانتباه، والسيارة الفارهة لكي يصطحب معه الفتيات، فلن تبقى هناك قيمة للفتيات غير المتأنقات والجاذبات، واللاتي لا يزلن حواجبهن، ولا يعتنين ببشرتهم، ولا يرتدين الماركات، ولا يحملن الشهادات، ولا يكسبن المال، ولا يتزين لإثارة الغرائز.

لم يعد الرجل الذي أحضر إلى بيته مع تلفاز البلازما ذي الشاشة الكبيرة نساء بلاستيكيات مجهزة بشتى مظاهر الفتنة، ومزينة بمختلف أنواع المكياجات ومواد التجميل التي تعرضها تلك الشاشة، لم يعد يعجبه الزواج بالمرأة الحقيقية، ولم يعد الكثير من النساء يخرجن من صالونات الرياضة، ومراكز التنحيف والريجيم ليحصلن على مظهر فاتن يثير الإعجاب في عين الزوج العين المريضة التي جعلت المظاهر أساس الأمر.

لا شك أن الرجال الذين يتمسكون بهذه القيم الزائفة ويلهثون وراءها مسؤولون بدرجة كبيرة عن زيادة أعداد النساء والفتيات المدمنات على عمليات التجميل والجري خلف الأزياء والموضة.

وإن عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة تنتظر هؤلاء الرجال الذين جعلوا نساءهم في وضع صعب وحرج سواء في المجتمع أو في الحياة الخاصة وذلك بطلباتهم الجانحة المتجاوزة لحدود الحلال، وارتكبوا أعمالاً لا ترضي الله تعالى نتيجة لدخولهم إلى شبكة الانترنت وانغماسهم في مواقعها سعياً وراء رغباتهم المنحرفة دون أدنى شعور بالمسؤولية.

إن أولى نتائج عدم التزام النساء بالمعايير والمبادئ التي وضعها الله سبحانه وتعالى هي نبذهن من قبل أزواجهن. فعدد النساء اللائي يتعرضن للإساءة والتجريح بجمل قاسية مثل: "أستحي من اصطحابك معي!"، "ما هذا الحال، انظري إلى نفسك فقد صرت مثل جدتي!". ليس بقليل. وبمثل هذه المعاملة دُفع قسم من النساء البائسات للبحث عن مزيد من أنواع المكياج وعمليات التجميل، وارتداء ثياب أكثر زينة، وتماشياً مع صرعات الموضة؛ وأما القسم الآخر فصارت تُتهم وتعاب من قبل المجتمع بالتزمّت والتطرف الديني.

كثر الرجال الذين يضعون أيديهم بأيدي زوجاتهم، فيستعرضونهن أمام الناس وكأنهم يقولون: "زوجتي أجمل من زوجاتكم!". وأجبرت النساء اللاتي يُنادَين في العادة ب "امرأة/ زوجة" على محاولة أن تنادى ب "سيدة". وقد وصل بعض الرجال من البؤس لدرجة التباهي بجمال زوجاتهم.

والآن؛ يجب على كل الأزواج/ الرجال الذين ينظرون إلى الشوارع والميادين فيتذمرون ويشتكون من الحالة المزرية التي وصلت إليها، يجب أن يسألوا أنفسهم:

لقد صارت المرأة الضعيفة الشخصية التي لم تعد تحظى بالاهتمام في بيتها، ولا يغار عليها زوجها صارت منكبة على تحسين مظهرها في الخارج أكثر من البيت. ونتيجة لهذا السلوك بدأت بالتباهي بارتداء الثياب التي تكشف عن مفاتن جسدها في الشوارع والطرقات. وبعض النساء صارت تصاب بالاكتئاب وتُعالج نفسياً لكونها لا تشبه "باربي".

من الذي أتذمر منه؟ زوجة مَنْ؟، وابنة مَنْ؟، وأم مَنْ؟، وأخت مَن؟ حفيدة مَن، وعمة مَنْ وخالة مَن؟ زوج مَن، وابن مَنْ؟، وأخ مَنْ، وأب مَن؟ حفيد مَن، وابن أخ/ أخت مَن، وخال مَنْ، وعم مَن؟ ما هي نسبة مساهمتي في المظهر الذي يصيبني بالانزعاج والتذمر؟ وما فعلت، وأفعل لتصحيح الوضع؟ وما الذي بإمكاني فعله؟ وأي ضعف أصابني حتى فقدتْ كلمتي تأثيرها على النساء التي تحت إدارتي؟ كيف سقطت حتى سقطن هن أيضاً في هذه الحالة المزرية والمؤلمة.

أما كنت رئيساً! كيف صرت أقوم بتأمين قوت عائلتي من مصادر لا ترضي الله تعالى؟ وأين ذهب احترامي ووقاري؟ أي حالة صرت فيها حتى لم أعد أستطيع أن أمنع زوجتي، وابنتي، وأختي من تجاوز حدود الله؟ لمَ أغرق في مستنقعات القروض والربا لتلبية طلبات عائلتي التي تفوق طاقتي وإمكاناتي المادية؟ وكم مرة وقفت إماماً أمام عائلتي للصلاة؟ وكم مرة قرأت كتاباً لابنتي؟ وأي أحاديث نبوية علمتها لزوجتي؟

أجل؛ إن حال الشارع يدعو إلى الاعتقاد بتغير أحكام القيم لدى الرجال، وبفقدان الرجال من أصحاب القيم لصفة الرياسة والقوامة. فلو أن الرجال نهضوا بواجباتهم ومسؤولياتهم في سبيل الله تعالى بدل تأنيب الذات لصار الحال مختلفاً. وطالما أننا نعيش في حياة لا تتبع فيها الزوجة، والابنة، والحفيدة القرآن والسنة بالرغم من وجود الزوج، والأب، والجد، وطالما أن الذئب يهاجم القطيع والراعي يكتفي بالمشاهدة فمعنى ذلك أن هناك أزمة ومشكلة جدية وخطيرة.

إن الرجل مسؤول عن تعليم وتربية المرأة وتقويم اعوجاجها، وتصحيح سلوكها وأحوالها؛ ولكن اقتصرت أولوية الكثير من الرجال على كسب المال. ومع كل أسف فإن الرجل العاجز عن حماية محارمه أعجز وأضعف في حماية محارم الآخرين. إذ بدأ الآباء المتساهلون واللامبالون يعذرون سفور بناتهم البالغات، وحتى يغضون الطرف عن تبرجهن الفاضح، وعندما اختلت الأفكار وانحرفت قل الواعظون والداعون إلى الحق أيضاً.

إن الذي يصدر مجلات الأزياء للنساء المحجبات رجل. والذي يعتقد تعيين سكرتيرة ذات مظهر جميل وأنيق في المكتب معرفة وتطوراً رجلٌ. والغريب كل الغرابة أن مدراء وأصحاب الشركات المسلمة التي لا تتوانى عن استخدام صور الفتيات للترويج عما تنتجه من ملابس بالرغم من أنها ملابس رجالية هم رجال أيضاً!. ثم إن الذين يتذمرون فيقولون: "إننا نرتكب المعاصي بسبب النساء" هم رجال أيضاً.

فبالله عليكم ما تقولون لرسام ينظر إلى صورة رسمها ثم يتبرم ويقول "يا له من عيب مشين"؟

انظروا! إن المتبرَّم والمتذمَر منهم هم تحت إدارة من يتبرمون ويشكون سوء الحال. إن الرجل الذي لا يسيطر على نفسه، ولا يعمل في خدمة ربه عاجز وضعيف في مسألة تربية المسؤول عنهم، ومساهم بشكل ما في انتشار الفساد والانحراف داخل المجتمع بوتيرة أسرع. وعندما تتلاقى مشاعر التباهي والرغبة بالتبرج وإثارة الإعجاب لدى النساء مع الجشع والشره وغيره من الأمراض لدى الرجل فإن بروز مظاهر الانحلال يصبح أمراً محتوماً لا مفر منه.

ليس من حق من لا يقوم بمسؤولياته وواجباته في تطبيق أوامر الله تعالى والدعوة إلى تطبيقها التبرم والشكوى من النتيجة التي تظهر! وأما المحترمون الذين تكتوي قلوبهم من مظاهر الفساد المنتشرة، وينهضون بواجباتهم على أكمل وجه فلهم ألف دعاء بالتوفيق، وشكر، وتحية وسلام!!.

نموذجية أيوب عليه السلام

يتحدث الله عز وجل في الآيات ٤١ إلى ٤٣ من سورة ص عن الامتحان الذي ابتلي به أيوب عليه السلام. ويخبرنا أن أيوب عليه السلام قد صار بصبره، وتسليمه، ورضاه مثالاً ونموذجاً للبشرية كلها، وذلك بقوله في الآية المباركة:

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤)

وجاء في روح البيان أن أيوب عليه السلام كانت له أموال كثيرة من صنوف مختلفة، وهو مع ذلك كان مواظباً على طاعة الله ﷻ محسناً للفقراء واليتامى وأرباب الحاجات. فحسده إبليس لذلك وقال "إنه يذهب بالدنيا والآخرة"، وقال "إلهي عبدك أيوب قد أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، ولو ابتليته بنزع النعمة والعافية لتغير عن حاله". فسلط الله ﷻ إبليس عليه، فأحرق إبليس زرع أيوب عليه السلام ، وأسقط الأبنية على أولاده. فلم يزدد أيوب عليه السلام إلا حمداً لربه. ثم نفخ إبليس في جسد أيوب عليه السلام نفخة خرجت بها فيه النفاخات ثم تقطرت بالدم الأسود وأكله الدود سبع سنين وهو على حاله في مقام الصبر والرضى والتسليم.

إن سبب جعل أيوب عليه السلام مثلاً ونموذجاً للإنسانية هو حالة التسليم والرضا التي أظهرها في السراء، والضراء، وفي الغنى والفقر. وإضافته الأخطاء إلى نفسه، والمحافظة على الاستقامة في كل الأحوال.

وإن من إحدى الحكم التي تكمن وراء ذكر أمثلة ونماذج عن الخير والصلاح في القرآن الكريم هي حث الناس على اتباع أهل الاستقامة، وتحذيرهم من التشبه بأهل الشر والسوء.

الكلمات التي يختارها المعلم

الأستاذ: سنان آيدن

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ الله الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤- ٢٥)

هذا بيان ربنا عز وجل في القرآن الكريم بشأن حسن الكلمة...

إن العبودية والإنسانية تبدأ بمعنى من المعاني بالكلمات، وتستمر بالكلمات، وتنتهي بالكلمات. فبالكلمات يؤمن الإنسان بخالقه ويتعبده؛ وبالكلمات يقيم العلاقات مع الآخرين ويتآلف معهم. ومن جهة أخرى فإن الإنسان بالكلمات يسيء إلى الخالق والمخلوقات... وما أكثر القلوب التي يجرحها بالكلمات التي تخرج من فمه كالخناجر. وكم هناك من كلمات تقرب الإنسان من الخالق والمخلوقات، وكلمات أخرى تبعده عن الخالق والمخلوقات.

يقول المرحوم جميل مريج بشأن الكلمة:

"إن الكلمة حسناء راقدة في الغابة؛ والشاعر أمير قادم من بعيد. فسوف تحب الكلمات حتى الكفاية. إن نجومك كلمات، فتكلم ولتتراقص الأحلام بشعرها المتماوج كاللهب في بستان الأبدية. إن الكلمات ظلالي التي في الماء، فلا أقدر على لمسها، ولا تقبيلها. الكلمة جميلة كدعوة، ومحترمة في الأدعية. والكلمة هي جسر العبور من قلب إلى قلب، والسلم الواصل بين العصور، والجدول الذي أشاهد فيه نفسي. الكلمة لا تنتهي. الكلمة آدم. إن الكلمات كالطيور التي تطوف بغرفتك مساء. فلا يُعرف من أين تأتي، فأحياناً تطلق الصرخات والتغريدات، وأحياناً تصمت حتى لا يُسمع أصواتها... الكلمات كالزهور مختلفة الألوان؛ فهي برتقالية، وأرجوانية، وبيضاء. وهبة رياح واحدة تحركها كلها. فلا ثقة بالغيوم. وإن الكلمات ضريحك. فإن أردت تَرْقُمُ بأظافرك عند التدحرج على الورق؛ على الورق أي على الأبدية..."

ويروى عن المرحوم نجيب فاضل المشهور بتمكنه من اللغة واستعمال كلماتها، بقدر شهرته الشعرية قوله: "أعطوني ثمان كلمات، أعطيكم أربع وستين جملة". ويجب على من سيصبح معلماً في المستقبل أو من هو معلم الآن النظر إلى كلمات لغة الحضارة التي ينتمي إليها مثل جميل مريج، ومحاولة الوقوف على كلمات لغة الحضارة التي ينتمي إليها مثل نجيب فاضل.

لا ريب أن على كل إنسان الانتباه إلى الكلمات التي يختارها عند التحدث لأجل سعادته في الدنيا والآخرة. إلا أن مسؤولية المعلم الذي له تأثير بالغ في تكوين وتشكيل الأجيال الناشئة أكبر في هذا المجال. ولهذا:

- ينبغي أن تكون الكلمات التي ينتقيها المعلم صحيحة وجميلة... وأن تكون وسيلة لبث الطمأنينة، ومثيرة للرقة واللين، ومشجعة، ومشيرة إلى الحقيقة...
- ينبغي أن تحمي الكلمات التي يختارها المعلم، تلاميذه من الوقوع في مستنقع الكذب والانحراف، وتعينهم على الصمود أمام العواصف والتيارات.
- ينبغي أن تكون الكلمات التي يختارها المعلم مشبعة بالاحترام، والرحمة والشفقة، وحاثة على الخدمة.
- ينبغي أن تكون الكلمات التي ينتقيها المعلم ملينة للقلوب، ودواء لهموم التلاميذ.
- ينبغي أن تحمل الكلمات التي يختارها المعلم آثار سعادة الدارين.

لقد أصبح الإيفاء بواجب مهنة التعليم حق الإيفاء بغاية الصعوبة في زمن ساد فيه التفتيش عن عيوب ونواقص المعلم بدل خصاله المميزة، وتحميل الإنسان الآخرين مسؤولية أخطائه، وازدياد أعداد جيل غير مبالٍ ولا مسؤول؛ في زمن صار أولياء التلاميذ يقفون فيه بجانب أبنائهم بشكل مفرط، ويحاولون حمايتهم والدفاع عنهم بطريقة خاطئة. ولكن مع ذلك فإن بذل الجهد للقيام بهذه المهنة التي هي مهنة الأنبياء بأسلوب ومنهج الأنبياء سيكون وسيلة للخلاص الأبدي للإنسانية.

بعض مبادئ التربية

إن المربي ليس هو من يعطي المعلومة فحسب، ولكن هو من ينثر بذور الصدق، ويفتح الآفاق، ويدعو إلى العقل السليم، ويُعلِّم الأصول، والأركان، والآداب. أيْ أنَّ أيْ مربٍّ يقوم بإنشاء وجدانٍ سليمٍ لدى من يقوم على تربيته.

❁

لا يكفي لكي تربي طفلاً أن توفر له مكاناً ينام فيه، وأن تُشبع بطنه. بل يشترط لذلك أن تُزيِّن عالمه العقلي والروحي بالعلم والعرفان.

❁

ينبغي على المربي أن يهذب من قلب الشخص الذى يقوم على تربيته. وأن يقيم معه علاقة بالأمور الروحية و الأسرار والحكم، ولا يقتصر على العلوم الظاهرية فحسب.

❁

التربية الناقصة هي التي تُقدّم بشكل فردي بمعزل عن الأمور الروحية. فالشرط أن يتحقق التوازن بين المادة والمعنى. وإلا أصبح الطالب مثل طائر يحاول أن يطير بجناح واحد، وعندها يصبح طعاماً لقط جائع.

❁

يبحث رأس المال عن أكثر المجالات خصوبة حتى يستثمر بها. أما التربية، فهى المجال الأهم الذى ينبغى الإستثمار فيه. فتنشئة انسان راق ومثالى هى أدق حسابات المستقبل.

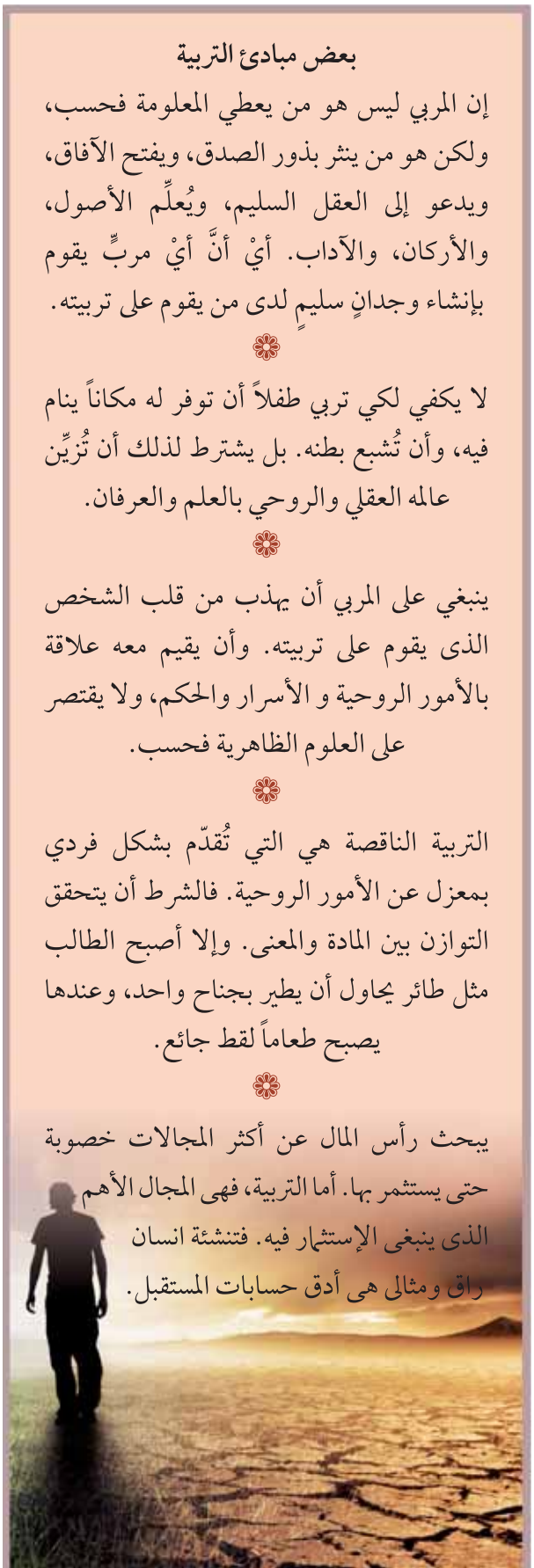

عروة بن مسعود رضي الله عنه

مصطفى أريش

يُعد عروة بن مسعود رضي الله عنه من أقارب رسول الله ﷺ لجهة الأم.

وهو عديل النبي عليه الصلاة والسلام، حيث أنه متزوج من آمنة بنت أبي سفيان رضي الله عنه.

هو الصحابي الأكثر شبهاً بعيسى عليه السلام!..

وهو الفارس البطل الذي حاول إقناع أهل مكة في الحديبية بالسّماح للمسلمين بأداء مناسك العمرة رغم أنه كان سفيراً لقريش!

كان سيد قبيلة ثقيف. لذا كان معروفاً في مكة. وكان أبوه من قادة وفرسان قبيلة ثقيف في حرب الفجار. وأما أمه فهي القرشية سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف. لذا فكما أن عروة بن مسعود رضي الله عنه كان من أقرباء فخر الكائنات رسول الله عليه الصلاة والسلام لأمه، فإنه كذلك كان عديله لزواجه من آمنة بنت أبي سفيان.(ابن هشام، ٤، ١٢٦)

وهو أحد الاثنين اللذين أشار إليهما مشركو مكة لدى بدء نزول الوحي، عندما قالوا ينبغي أن ينزل الوحي على واحد من زعماء وأغنياء مكة أو الطائف، وليس على محمد. حيث جاء في القرآن الكريم:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)

ونُقل في المصادر أن المقصود هنا هو عروة رضي الله عنه. (ابن عبد البر، ٣، ١٠٦٧)

وكان الوليد بن المغيرة قد خرج معترضاً، وقال في هذه المسألة: أينزل القرآن على محمد، وأُترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها، ويُترك أبو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين؟

فقال الله تعالى رداً عليهم:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف: ٣٢)

كان عروة بن مسعود واحداً من السفراء الذين أرسلتهم قريش إلى رسول الله ﷺ في الحديبية. فكان أول لقاء له مع النبي ﷺ وأصحابه في الحديبية.

وكان قد طلب من قريش أن ترسله لما رأى أن بديل بن ورقاء الذي بُعث به قبله لم يأت بنتيجة.

ولم يشأ بعض المشركين الذين كانوا يعترضون على الصلح مع رسول الله ﷺ الاستجابة لطلبه خشية وقوفه إلى جانب المسلمين. إلا أن عروة تمكن من إقناعهم من خلال إشارته إلى عدم تحقيق السفراء قبله أي نتيجة، وكذلك لقوله لهم أنه قرشي لجهة أمه.

ولما ذهب عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ، حاول جهده في البدء ثنيهم عن فكرة العمرة. ثم إنه أخبرهم أن المشركين قد أقسموا على أن لا يدخلوا المسلمين إلى مكة. وأنهم قرروا خوض الحرب معهم إذا اضطر الأمر إلى ذلك. وكذلك ادعى أن الذين معه من أصحابه لن يصمدوا أمام أهل مكة،

وإنما سوف يلوذوا بالفرار ويتخلوا عنه عند أول ضربة سيف. فغضب أبو بكر رضي الله عنه من قول عروة ورد عليه رداً شديداً. فأصبح عروة في موقف حرج. فلم ينبس ببنت شفه.

كان عروة أثناء حديثه مع رسول الله ﷺ يأخذ بين الحين والآخر بلحيته للفت الانتباه حسب عادة العرب. وكان في كل مرة يأخذ فيها بلحيته يقرع يده صحابي واقف إلى جانب النبي عليه الصلاة والسلام بمقبض سيفه. ولما علم عروة أن هذا الصحابي هو المغيرة بن شعبة ضاق صدره، وتبرم.

تأثر عروة بن مسعود تأثراً شديداً بما رآه من مشاعر المحبة والاحترام والوفاء والتعظيم التي يكنها الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ. ووقف حائراً مندهشاً من تصرفاتهم ومعاملتهم الرقيقة واللطيفة الممزوجة بالأدب والمحبة الشديدة مع رسول الله ﷺ، ومن تفانيهم في خدمته، والخضوع والتسليم له، وطاعتهم التامة لكل أوامره.

ولما عاد إلى أهل مكة أخبرهم بما رآه بعبارات مليئة بالتعجب والاندهاش تصل إلى درجة المدح والثناء. فقال لهم:

"أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً". (البخاري، الشروط، ١٥)

وأوصى أهل مكة بحسن المعاملة مع الرسول الأكرم ﷺ، وبالسماح له ولأصحابه بزيارة الكعبة وأداء العمرة. وأخبرهم بكل جلاء أنهم هم المتضررون إن لم يأذنوا للمسلمين.

ولما رأى قريشاً لا تبالي بنصيحته ولا تلتفت إليه تركهم، وذهب إلى الطائف. وكان تشرفه بالإسلام وفق ما يأتي:

ضرب النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه حصاراً على الطائف سنة ٦٢٩م. وكان عروة بن مسعود أثناء ذلك في جرش الواقعة بأطراف اليمن لتعلم صناعة المناجيق، والدبابات. ولم يطل عليه الصلاة والسلام حصار الطائف، حيث أنهاه بعد مدة قصيرة وعاد إلى المدينة.

ولما عاد عروة بن مسعود إلى دياره علم بالأمر. وأنار الله قلبه بنوره، فنمت فيه محبة الإسلام، واتخذ قراره بدخول الإسلام.

في شهر ربيع الأول من العام التاسع للهجرة قدم ابن مسعود إلى المدينة. فحضر بين يدي شمس العالمين سيدنا النبي ﷺ، فنطق بالشهادة وتشرف بشرف الإسلام.

سُر النبي ﷺ بإسلام عروة بن مسعود كثيراً لكونه رجل ذو شرف ومروءة، ولصلة القربى التي تربطه به، ولموقفه المنصف والعادل الذي اتخذه في الحديبية.

وفي شهر ربيع الأول من العام التاسع للهجرة قدم ابن مسعود إلى المدينة. فحضر بين يدي شمس العالمين سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، فنطق بالشهادة وتشرف بشرف الإسلام.

سُر النبي عليه الصلاة والسلام بإسلام عروة بن مسعود كثيراً لكونه رجلاً ذا شرف ومروءة، ولصلة القربى التي تربطه به، ولموقفه المنصف والعادل الذي اتخذه في الحديبية.

وما إن أنار نور الإسلام قلب عروة بن مسعود حتى ثارت لديه رغبة وحماس إيماني شديد للعودة إلى قومه ودعوتهم إلى الإسلام. إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يأذن له بالعودة بداية الأمر خشيته من سوء معاملة قومه له، أو قتلهم له. إلا أنه كان شديد الثقة بنفسه، حيث أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام أن قومه يكنون له محبة كبيرة، فقال:

"يا رسول الله! أنا أحب إليهم من أبكارهم، (أي أول أبنائهم)، ولو وجدوني نائما ما أيقظوني".

وبعد أن أصر عروة واستأذن للذهاب إلى الطائف ثلاث مرات، أذن له النبي عليه الصلاة والسلام، فقال له:

"إن شئت فاخرج".

فخرج عروة بن مسعود ﷺ إلى الطائف، ولما وصلها توجه إلى داره. فتوجس قومه من سلوكه هذا، إذ إنّه دخل بيته دون المرور بصنمهم الذي يعتبرونه ربّاً. ولما قدم الناس لزيارته وحيوه بتحية الجاهلية، أخبرهم أنه أسلم، ووصاهم بتحية الإسلام بقول "السلام عليكم". وتحدث لهم عن عظمة الإسلام وسمو شأنه. ثم أخذ يدعوهم إلى الإسلام قائلاً:

يا قوم! أتتهمونني بسوء؟

يا قوم! إنكم تعلمون أني خيركم نسباً، وأكثركم مالاً، وأقواكم عصبة؟

إن ما دعاني إلى الإسلام ما رأيته فيه مما لم أره في غيره! فهلموا واسمعوا ما رأيت! ولا تعرضوا عني! فوالله لم يأت رسول بأفضل مما جئتكم به!".

كان عروة بن مسعود ﷺ يأمل أن لا يخالفه أهل الطائف، ولا يعارضوه. إلا أن ما حدث هو عكس ذلك. حيث خرجت إليه ثقيف وأحاطوا به من كل جانب، وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يخشاه منهم، وقالوا:

"واللات قد علمنا أنك صبأت عن ديننا مذ أن دخلت بيتك ولم تقترب من الرب، ولم تحلق عنده".

تصرف عروة بن مسعود معهم بغاية اللطف. إلا أن أهل الطائف لم يصغوا إليه ولم يأبهوا له. وفي اليوم التالي لما طلع الفجر صعد فوق بيته فأذن بالصلاة، ودعا قومه إلى الإسلام، فغضب الناس ورموه بالنبل من كل وجه، فأصيب عروة ﷺ بجراح بالغة، وأخذ ينزف دمه الطاهر. ولما احتشد أقرباؤه وحملوا السلاح ولبسوا لباس الحرب للأخذ بثأره لم يأذن لهم. وإنما أخبرهم أنه راض بالشهادة التي أكرمه الله بها، وعفا عن دمه، حيث قال:

"لا تقتتلوا فيّ. قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم. فهي كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي، وأشهد أن محمداً رسول الله، قد أخبرني بأنكم تقتلوني".

ثم دعا رهطه وأقرباءه فأوصاهم، فقال: إذا مت فادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام قبل أن يرتحل عنكم. فلما مات دفنوه معهم كما أوصى ﷺ!.

صاحب يس

لما وصل خبر استشهاد عروة بن مسعود رضي الله عنه إلى المدينة حزن رسول الله عليه الصلاة والسلام كثيراً، وشبهه بالرجل المذكور في سورة يس الذي قتله قومه وهو يدعوهم إلى الهداية.

حيث أثنى عليه مستخدماً بحقه عبارة "صاحب ياسين"، فقال:

"مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه. الحمد لله أن جعل في أمتي مثل صاحب ياسين". (ابن سعد، ١، ٣١٢؛ الحاكم، ٣، ٧١٣)

إن صاحب ياسين هو حبيب بن مري من أهل أنطاكيا. كان يعمل الحرير، وكان مؤمناً طويل اليد في الخير.

حيث كان في المساء يقسم ما كسبه إلى نصفين، فيطعم بالنصف أولاده وأهل بيته، ويتصدق بالنصف الآخر على الفقراء والمساكين.

ولم يكن شيء يمنعه عن عبادة ربه، وكان يعبد الله تعالى سراً.

ولما بلغ حبيب الخبر أن قومه من أهل أنطاكيا أجمعوا على قتل الرسل وهو على باب المدينة الأقصى، جاء يسعى إليهم يذكرهم بالله، وينصحهم، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين.

إلا أن أهل أنطاكيا أخذوا يرجمونه بالحجارة. وهو يقول رحمة بهم:

"اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي" حتى مات.

ولما استشهد عروة بن مسعود رضي الله عنه فارق ابنه أبو مليح وابن أخيه قارب بن الأسود بن مسعود أهل الطائف، قائلين لهم:

"لا نجامعكم على شيء أبداً وقد قتلتم عروة".

وذهبا إلى المدينة، فنزلا على المغيرة بن شعبة. ثم حضرا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأسلما.

فقال لهما الرسول عليه الصلاة والسلام:

"توليا من شئتما".

فقالا: نتولى الله ورسوله.

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

وخالكما أبا سفيان بن حرب، فقالا:

وخالنا أبا سفيان بن حرب". فتولياه.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديثه عن الإسراء:

"ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود" (مسلم، الإيمان، ٢٧١)

نسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً شفاعة عروة بن مسعود رضي الله عنه. آمين.

السر

نجدت طوسون

السر لغة: يأتي بمعنى الخفاء، والجذر، والغاية، ووسط الشيء، ولبه وخلاصته، وجوفه. وتُستخدم كلمة السر بشكل عام للدلالة على الشيء الخفي، والمعلومة الخاصة التي لا يعلمها إلا الله، أو يعلمها عدد قليل من الناس.

السر في الأحاديث:

إن قول النبي ﷺ: "لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً".(البخاري، الكسوف، ٢؛ مسلم، الصلاة، ١١٢)

يدل على أن هناك معلومات ليست من شأن الجميع قد احتفظ بها سراً في نفسه، ولم يطلع أصحابه عليها. وهناك روايات تشير إلى أن هناك معلومات وأموراً أطلع عليها بعض الصحابة دون غيرهم. أمثلة ذلك:

١. قال أبو هريرة رضي الله عنه:

"حفظت من النبي ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم" (البخاري، العلم، ٤٢)

هذا يعني أن أبا هريرة قد تلقى من النبي ﷺ بعض العلوم العلوية، والمعلومات الخاصة التي لا يستطيع البوح بها للجميع.

٢. قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار." قال معاذ: يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال رسول الله ﷺ: "لا، إني أخاف أن يتكلوا".(البخاري، العلم، ٤٩)

إلا أن معاذاً رضي الله عنه لم يرض أن تذهب معه هذه المعلومة أو البشارة إلى القبر وتبقى طي الكتمان، حيث أخبر بها أصحابه في أواخر عمره، وبذلك فقد وجد هذه السر له مكاناً في كتب الحديث ووصل إلى الأجيال اللاحقة.

٣. أخبر النبي ﷺ حذيفة بن اليمان وحده بأسماء المنافقين. ولم يكن النبي ﷺ يصلي على جنازة المنافقين، إلا أنه لم يكن ينهى الصحابة من الصلاة عليهم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"كنت في حياة النبي ﷺ إذا مات ميت أنظر إليه، فإن صلى عليه صليت، وإن لم يصل عليه لم أصل. ولما توفي النبي ﷺ صرت أنظر إلى حذيفة فهو كان يعلم بأسماء المنافقين".

وكذلك لما أخذ عمر ﷺ يعين العمال في خلافته سأل حذيفة ﷺ: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال حذيفة: نعم واحد، فسأله عمر عن اسمه، فلم يذكره، إلا أن عمرَ عزله من تلقاء ذاته، وكأنما دل عليه.

(ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت ١٩٩٦، ١، ٧٠٦)

٤. لما اقترب وفاة النبي ﷺ أسر إلى ابنته فاطمة بشيء فبكت، ولما أسر إليها بشيء آخر ضحكت، ولما سئلت عن ذلك فيما بعد، قالت: "سارني النبي ﷺ فأخبرني: أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه، فضحكت". (البخاري، فضائل أصحاب النبي، ١٢)

السر في التصوف:

يقول قطب الدين بن أردشير عبادي (وفاة ٥٤٧/ ١١٥٢) في كتابه "صوفي نامه": عين النبي ﷺ زاوية في مسجده. واختار من أصحابه جماعة من أهل الفضل والدراية في طريق المعنويات، أمثال: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. وكذلك حدد جماعة أخرى من متوسطي الحال، مثل: خباب، ومعاذ، وبلال، وأبي الدرداء. وكان في أوقات خلوته يجلسهم في هذه الزاوية، ويتحدث معهم (حديثاً خاصاً).. كان عدد هذه الجماعة (الخاصة) ما يقارب السبعين شخصاً. وأما نخبتهم فكانوا ستة أشخاص". (أبو منصور قطب الدين بن أردشير عبادي، صوفي نامه: التصفية في أحوال المتصوفة (الناشر: غلام حسين يوسفي)، طهران ١٣٦٨/ ١٩٨٩، ص، ٢٩)

يُستنتج من هذه الرواية أن بعض الصحابة كانوا يتلقون معلومات خاصّةً في المجالس الخاصة، أي يتلقون أسراراً.

ويقول المؤلف الصوفي أبو نصر السراج الطوسي (وفاة ٣٧٨/ ٩٨٨): إن الله تعالى خص النبي ﷺ بعلوم ثلاث: علم بُيِّنَ للخاصة والعامة، وهو علم الحدود، والأمر والنهي. وعلم خُص به قوم من الصحابة دون غيرهم، وهو العلم الذي كان يعلمه حذيفة بن اليمان، وعلي ﷺ وأمثالهما. وعلم خُص به رسول الله ﷺ وحده، لم يشاركه فيه أحد من أصحابه، وهو العلم الذي قال عنه: لو تعلمون ما أعلم. (أبو نصر السراج الطوسي، اللمع (تحقيق وتخريج: عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور)، القاهرة ١٩٦٠، ص، ٤٥٥-٤٥٦)

لقد أطلع النبي ﷺ أصحابه وبين لهم بكل جلاء كافة المسائل المتعلقة بالحلال والحرام، والفرائض وغيرها من الأمور التي تخص عامة الناس. إلا أن الدين ليس عبارة عن مسائل مثل الحلال، والحرام وغيرها فحسب. وإنما فيه أمور أخرى وهي إما مسائل خاصة لا تخص العامة، أو مسائل عرفانية علوية ليس بإمكان كل الناس فهمها وإدراكها مثل ذات الله تعالى وصفاته. ولا بد أن النبي ﷺ قد ذكر هذه المسائل أمام أصحابه ممن يتمتعون بمستوى عال من الإدراك والوعي.

ويروي المؤلف ذاته عن الرعيل الأول من المتصوفة قولهم:

"من أراد الوقوف على رموز مشايخنا فلينظرفي مكاتباتهم ومراسلاتهم، فإن رموزهم فيها لا في مصنفاتهم". (السراج الطوسي، المرجع السابق، ص، ٤١٤)

وأشار عبد الكريم القشيري (وفاة ٤٦٥/ ١٠٧٢) إلى أن المتصوفة أحدثوا وطوروا بعض المصطلحات لإفهام بعضهم البعض العلوم (الأسرار) والتجارب الخاصة بهم بشكل أفضل ، ومن أجل إخفائها عن مخالفيهم. واستخدم بعض المتصوفة اللاحقون للغاية ذاتها الحكايات الرمزية إلى جانب هذه المصطلحات.

والسر حسب قول بعض الصوفيين هو الأحوال التي تبقى خفية بين العبد والحق سبحانه وتعالى.

وقالوا تعبيراً عن ذلك: "قلوب الأحرار مقبرة الأسرار"، و "إذا علم زر قميصي بسري فسأقتلعه وأرميه بعيداً". وكلام سهل التستري يأتي بهذا المعنى، حيث قال: "الصوفي يحتاج إلى: حفظ سره، وأداء فرضه، والمحافظة على فقره". ويرى روزبيهان باكلي أنه لا يمكن بيان حقيقة السر باللسان. فالعارف يعلم بالسر من تلقاء ذاته دون واسطة، إلا أنه لا يفشيه.

إن إفشاء السر غير مقبول في ثقافة التصوف. إذ قد يُساء فهمه من قبل من لا يساعدهم مستوى إدراكهم المحدود على سبر أغواره، فيكون ضره أكبر من نفعه. يروى أن جنيداً البغدادي قال لأبي بكر الشبلي:

"يا أبا بكر! الله الله في الخلق، كنا نأخذ الكلمة فننشقها، ونقرظها، ونتكلم بها في السراديب، وقد جئت أنت فخلعت العذار، بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة، في أول طبقة يذهب ما وصفت". (السراج الطوسي، المرجع السابق، ص، ٣٠٦)

وكان أبو الحسن الخرقاني يصلي ذات ليلة. فجاءه صوت من الغيب يقول:

"يا أبا الحسن! أتريد أن أقول ما أعلمه عنك (سرك) للخلق وأفشيه لهم فيذموك!. فأجاب الخرقاني فقال: إلهي! أتريد أن أقول للخلق عما علمته من رحمته، وما رأيته من كرمك فلا يسجدوا لـــك بعدها أبداً (اطمئنان لواسع رحمته). فأتاه صوت: لا أقول أنا، ولا تقول أنت".(فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، لايدن ١٩٠٧، ٢، ٢١١- ٢١٢)

أي لا أنت تقول وتفشي سري، ولا أنا أفشي سرك.

ويُعتبر الدعاء بالاسم الأعظم سرذًا أيضاً. فقد روي أن أم المؤمنين عائشة ﵂ طلبت من النبي ﷺ أن يعلمها الاسم الأعظم فلم يفعل. (ابن ماجه، الدعاء، ٩)

ووورد أن يوسف بن الحسين الرازي سمع أن ذا النون المصري يعرف الاسم الأعظم، فخرج إلى مصر للقائه. ولما وصل إليه لم يُقبل في البدء ولم يُلتفت إليه. ثم قُبل وبقي يخدم ذا النون المصري سنة كاملة. وذات يوم قال لذي النون: يا شيخ، لقد خدمتك سنة، وعليك إعطائي حقي. وقد قالوا أنك تعلم الاسم الأعظم، وإنك تعلم أنه ليس أحدٌ خيراً مني لتأمنه عليه، فأريدك أن تعلمني إياه. فسكت ذو النون، ولم يجبه. وبعد ستة أشهر أخرج ذو النون شيئاً ملفوفاً بمنديل أبيض ووضعه في علبة، وأعطاها ليوسف بن الحسين. وقال له: إنك تعرف صاحبنا فلاناً الذي يسكن في مدينة الفسطاط. فاذهب بهذه العلبة إليه. فأخذ العلبة ومضى. وفي الطريق أصابه الفضول، وأخذ يقول لنفسه: طالما أن رجلاً عالماً وزاهداً مثل ذي النون المصري يرسل هذه الهدية، فلا بد أنها هدية متميزة. تُرى ما هي، وما حقيقتها وقيمتها؟. وظل يلح عليه فضوله حتى قرر فتح العلبة. ولما فتحها فإذا فيها فأرة، فقفزت واختفت. فغضب يوسف، وتحير في أمره، ثم عاد إلى ذي النون المصري. فقال له ذو النون: لقد جربناك. فأمناك على فأرة، فخنت الأمانة. فكيف تريدني أن أثق بك وأسلمك الاسم الأعظم؟.(فريد الدين عطار، تذكرة الأولياء، ص، ٣١٧)

إن كتمان السر أمر صعب. حيث يذكر فريد الدين عطار في كتابه "منطق الطير" أن الإمام علي ﵁ لم يتحمل الأسرار التي تلقاها من النبي ﷺ، فذهب إلى بئر وباح فيه بتلك الأسرار، فتحول ماء البئر إلى دم. (فريد الدني عطار النيسابوري، منطق الطير (تحقيق: محمد رضا شفيعي كدكني)، طهران ١٣٨٨/ ٢٠٠٩، ص، ٢٥٦)

إن إفشاء السر غير مقبول في ثقافة التصوف. إذ قد يُساء فهمه من قبل من لا يساعدهم مستوى إدراكهم المحدود على سبر أغواره، فيكون ضره أكبر من نفعه.

ويُنقل في كتاب "جوهر الذات" الذي ينسب إلى فريد الدين عطار أن النبي ﷺ أخبر عليّاً ﷺ على بعض الأسرار الإلهية، فكتمها علي مدة، ثم باح بها في بئر، فأفشى القصب الذي ينمو في البئر هذه الأسرار للناس من خلال نغمات الناي الذي يُصنع منه. (فريد الدين عطار النيسابوري، جوهر الذات، (تحقيق: محمد علي قادري)، أصفهان ١٣٩٢ه، ص، ٤٥٢. وهناك احتمال أن يكون الكتاب لعطار التوني)

وينقل أحمد أفلاكي راوية مشابهة لهذه في كتابه مناقب العارفين، وذلك عن مولانا جلال الدين الرومي:

أطلع النبي ﷺ سيدنا عليّاً ﷺ بعض الأسرار الإلهية التي أكرمه الله تعالى بها، وقال له منبهاً: "إياك وإفشاء هذه الأسرار!". فكتم علي هذه الأسرار التي أُؤتمن عليها مدة، إلا أنه لم يتحملها. حيث انتفخ بطنه، وهام على وجهه في الصحاري، فذهب إلى بئر وأفشى له بهذه الأسرار. وبعد عدة أيام نبت القصب في ذلك البئر. فمر به راع فقطع منها قصبة، وصنع منها ناياً، وأخذ يعزف به لأغنامه. فاجتمع حوله الناس للاستماع إلى صوت الناي. ومع مرور الوقت وصل الخبر إلى النبي ﷺ. فأرسل في طلب الراعي، فحضر وعزف الناي في مجلسه. فقال ﷺ: هذه النغمات إخبار بتلك الأسرار التي أودعتها عند علي. (أحمد الأفلاكي، مناقب العارفين (تحقيق: تحسين يازجي)، أنقرة ١٩٨٠، ١، ٤٨٢– ٤٨٣، ٢، ٥٩٩– ٦٠٠؛ الطبعة التركية، مناقب العارفين، (ترجمة: تحسين يازجي)، اسطنبول: منشورات MEB، ١٩٨٩، ١، ٥٢٢– ٥٢٣، ٢، ٢٠– ٢١؛ أحمد عوني كونوك، شرح المثنوي الشريف (تحقيق ونشر: مصطفى طاهرالي وآخرون)، اسطنبول ٢٠٠٩، ٨، ١٢٥– ١٢٦.)

لعل هذه الحكايات نسخة منتحلة عن أسطورة الملك ميداس. حيث تقول الأسطورة أن الملك ميداس وهو أشهر ملوك دولة الفريجيين الذي كانوا يسكنون منطقة الأناضول قبل مجيء الأتراك إليها قد أغضب الإله أبولو، فعاقبه بإطالة أذنيه وجعلهما كأذني الحمار. فأخذ الملك ميداس يغطيهما بعمامته خجلاً من أن يراهما الناس فيستهزؤون به. وكان لا يعلم أحد بسره، إلا حلاقه والذي كان يحذره تحذيراً شديداً من إخبار الناس، وإفشاء سره بينهم. إلا أن كتمان السر ليس بالأمر السهل. فمع مرور الزمن بدأ السر يتحول إلى عبء على كاهل الحلاق، ولم يعد يطيق حمله. فذهب ذات يوم إلى بئر، فمد رأسه إليه، وصاح: "أذنا الملك ميداس أذنا حمار". فنشر البئر هذا السر وأفشاه للقصبات القريبة منه، وقامت القصبات بإخبار الرياح، ونشرت الرياح الخبر بين الناس جميعاً. وهكذا فقد اطلع كافة أفراد المملكة على سر الملك ميداس.

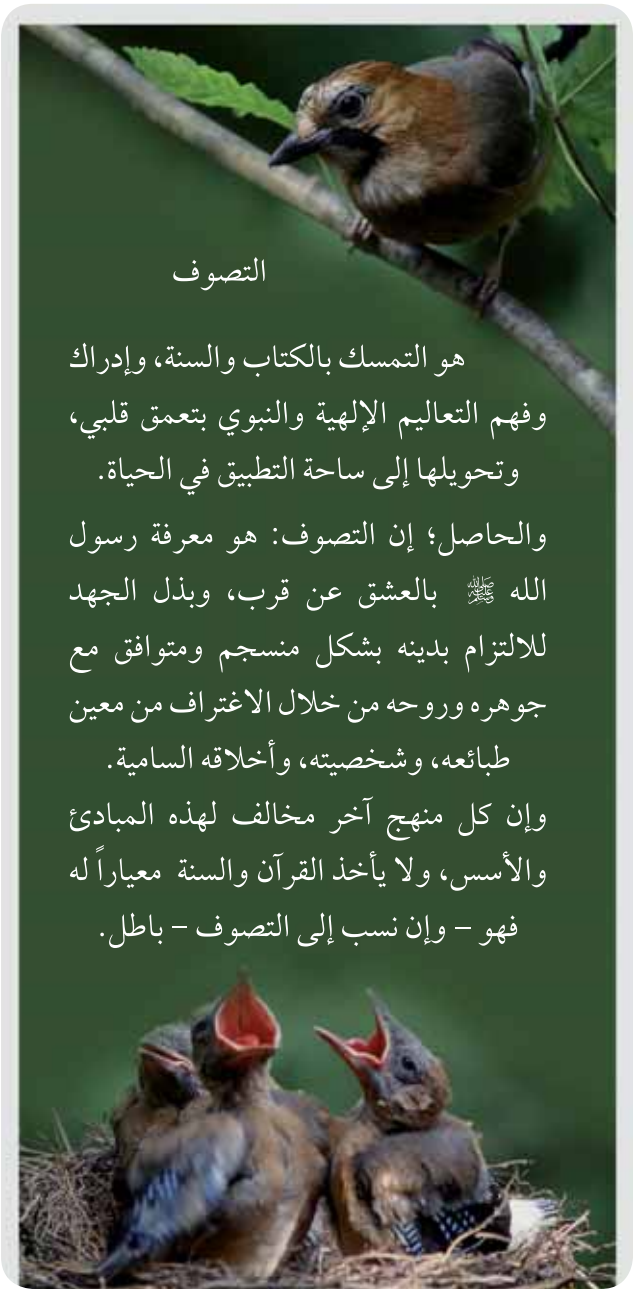

التصوف

هو التمسك بالكتاب والسنة، وإدراك وفهم التعاليم الإلهية والنبوي بتعمق قلبي، وتحويلها إلى ساحة التطبيق في الحياة.

والحاصل؛ إن التصوف: هو معرفة رسول الله ﷺ بالعشق عن قرب، وبذل الجهد للالتزام بدينه بشكل منسجم ومتوافق مع جوهره وروحه من خلال الاغتراف من معين طبائعه، وشخصيته، وأخلاقه السامية.

وإن كل منهج آخر مخالف لهذه المبادئ والأسس، ولا يأخذ القرآن والسنة معياراً له فهو – وإن نسب إلى التصوف – باطل.

اللفظ والمعنى

دوران أكيزر

كان العرب زمن نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ بقمة التفوق من الناحية الأدبية والبلاغة اللغوية. فكان الكلام سلاحاً مهماً وذو تأثير بليغ في مختلف ميادين الحياة. وخاصة الشعر، الذي كان أكثر أشكال التعبير استعمالاً لدى العرب، حيث كان يحمل في بنيته تأثيراً سحرياً على الأنفس والأرواح. فكانت الألفاظ والعبارات تنساب بشكل جميل ومؤثر حتى من فم أجهل الناس وأكثرهم بداوة بحيث يقع المستمع إليه تحت تأثيرها في الحال، وتظهر عليه حالة من الانتشاء والشعور بالطرب الروحي.

وكان الشعراء حسب ما تذكره المصادر بمثابة "وسائل الإعلام" للمجتمع العربي في ذاك العصر. حيث كان بإمكانهم إن شاؤوا رفع شخص أو قبيلة ما إلى أعلى مرتبة من الشرف والجاه والعز، أو النزول بهم إلى أدنى المراتب. وطبعاً فإن صفة الشعر هذه كانت تصدر من السجية البيانية (ميزة القدرة على التعبير عن المشاعر والأفكار) التي هي موهبة من الله تعالى للإنسان وحده، ومدمجة به.

وإلى جانب ذلك فإن الكلام كان شيئاً قيماً في الظروف الاجتماعية والثقافية لذلك العصر. حيث أن الأشياء الموجودة في حياة عرب الجاهلية مثل الصحراء، والجياد، والإبل، والخيمة، والبيت البدائي المبني من اللبنات كانت أشياءً بغاية البساطة. وإن بساطة الحياة هذه كانت قد دفعت العرب للتعمق في عوالمهم الداخلية، ومن ثم أحدثت غنى كلامياً تمكنوا من خلاله التعبير عن المدارك الحسية التي ظهرت وبرزت في عوالم الروح.

ولما كان الكلام بهذه الدرجة من القيمة والأهمية فمن الطبيعي أن يكون قد برز دور الشعراء الذين هم أفضل من يستخدم الكلام، ويصبحوا شخصيات تحظى بالاحترام والتقدير في المجتمع. فكان تقريباً لكل قبيلة شاعرها الخاص والذي يلعب دوراً مؤثراً في مختلف فعاليات وأنشطة القبيلة.

إلا أن هناك حقيقة أكثر أهمية. وهي أن العبارة بغض النظر عن قوتها ومتانتها لغوياً لا تقدم فائدة لأحد إذا لم تكن بالمستوى الذي يوصل إلى المعنى المراد التعبير عنه، وإلى الحقيقة والصواب. وقد

حدث ذلك بالفعل. فعند إلقاء نظرة عامة إلى شعر العرب في الجاهلية يتبين أن هذه الأشعار كانت تدور حول مدح القبيلة، والعشق والحنين للحبيب، ووصف وتصوير الجياد والإبل، والعصبية القبلية، وحياة الصحراء، ورثاء وندب الموتى. وحتى وإن كانت هذه الأشعار تتناول أحياناً مواضيع ذات أهمية مثل الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتنمية الخصال السامية والحميدة القائمة في كيان وفطرة الإنسان، إلا أن ذلك يبقى أمراً ثانوياً وجزئياً وقليلاً.

وأساساً فإن كل الخصال الأخلاقية لدى عرب الجاهلية كانت قد تشكلت في إطار العصبية القبلية. فمثلاً كان العرب في ذاك الوقت يشتهرون بإكرام الضيف. إلا أن هذا الإكرام كان لإثبات وإظهار كرم ضيافة القبيلة. وكانت الشجاعة والفروسية والبطولة مقبولة وممدوحة عند استخدامها من أجل العصبية القبلية والقومية.

إن أنماط الحياة والنظم الاجتماعية البالغة الفساد لدى العرب والتي كانت تتمركز حول القبلية تعرضت لاهتزاز كبير بظهور القرآن الكريم. فهو كان كلاماً عجيباً، فإلى جانب قوته التعبيرية والبيانية المعجزة، فقد كان من حيث المعنى الذي يحتويه يحمل عمقاً لم يُر مثله إلى ذلك الوقت. فكأن العرب الذين بلغوا الذروة في البيان والبلاغة والفصاحة والتي كانت مصدر فخرهم وتباهيهم، كأنهم أصيبوا بصدمة عندما ووجهوا بالقرآن الكريم. وكان سبب هذه الصدمة هو وقوفهم عاجزين أمام القوة التعبيرية والبيانية لهذا الكتاب الفريد والعجيب الذي يتعرفون عليه لأول مرة. إلا أن الأمر الأكثر تأثيراً من ذلك كان الحقائق التي احتواها القرآن الكريم حول الحياة وطبيعتها ومسارها. لأن العرب إلى ذاك الوقت لم تكن لديهم قضايا مصيرية مثل وضع نظام للحياة الشخصية والاجتماعية، والبحث عن الحقيقة. فأول ما أثار انتباه العرب من القرآن هو صفته الفريدة والتي لا مثيل لها المتمثلة بغنى العبارات والتعابير، وبعد ذلك بدأوا بالتفكير والتأمل بالمعاني العميقة والحكيمة التي احتوتها تلك العبارات.

وبالنتيجة دخل الأشخاص الذين تميل قلوبهم لقبول الحقائق إلى الإسلام فوراً. والحقيقة العجيبة والملفتة هي أن أغلب المسلمين الأوائل كانوا من الطبقات المسحوقة والدنيا في المجتمع.

إن أول ما فعله القرآن الكريم بشأن إعجازه هو تحدي البشرية. إلا أن هذا التحدي لم يكن مقتصراً على جمال اللفظ وحسن البيان والتعبير، وإنما كان في الوقت ذاته يشمل جانب الحكمة والحقيقة الكامنة في المعنى الذي يُعد لباس اللفظ ويشكل روح الكلام. لأن اللفظ الخالي من المعنى مثل الجسد الخالي من الروح. فإذا لم يكن الكلام الملفوف بالذوق الأدبي والمصاغ بتكلف وفن لفظي وتعبيري، إذا لم يكن يقود إلى الحق والحقيقة فإنه مجرد عبث لا طائل منه.

والحاصل؛ إن اللفظ والمعنى بمثابة جناحين لملكة "البيان" لدى الإنسان. فمهما عبرت عن الشيء بألفاظ وعبارات جميلة، وصغت معنى من المعاني شعراً بأحسن التصاوير وأدق الأوصاف، ونقلت المشاعر والأحاسيس إلى من تخاطبهم بأكثر الأساليب تأثيراً فإنها ليست بشيءٍ إذا لم تقد الإنسان إلى الحق والحقيقة. إذ أن الكلام في هذه الحالة يفتقد أحد جناحيه. وكذلك الأمر إذا لم يُعبر عن حقيقة ما بأسلوب جميل ومؤثر فيكون الجناح الآخر ناقصاً. فقد نهى النبي ﷺ عن التكلف والتنطع في الكلام بقصد تجميله أدبياً. وفي الوقت ذاته وصف نفسه بقوله: "أنا أفصح العرب".

نرجو من الله تعالى أن نكون أصبنا الحقيقة بكلامنا...

للقراءة فصول

علي بويوك تشابار

هلموا بنا نقرأ "الكتب الصعبة" التي كنا نرغب بقراءتها منذ سنوات طويلة ولم نتمكن من قراءتها إلى الآن.

ولكن، هل يمكن أن يكون للكتاب صعوبة؟

بالطبع، وينبغي ذلك؛ فهناك كتب استغرقت كتابتها وتأليفها سنوات، واحتاج وصولها للقارئ سنوات عدة. فكم كتاباً بهذا الوصف تعرفون؟

لقد أحدثنا تبديلات وتغييرات كثيرة، وإننا كما بدلنا أنفسنا فإننا استبدلنا رموز فكرنا أيضاً بشيفرات جديدة.

فماذا نجد إذا قارنّا الكتب التي قرأها العلماء والعارفون قبل قرن من الزمن مع تلك التي يقرأها المعاصرون؟

سوف أقوم بتقييم مختلف عن الزمن قبل الحديث عن الكتاب. فثلاثية الزمان، والمكان، والفضاء هي نقاط الحركة التي لا غنى عنها لفيزياء نيوتن. وكذلك الكتب فإن لها زماناً، وفصلاً خاصاً بها.

علينا أن نمضي الليالي الباردة الطويلة حيث تسود فيها لحظات الصفاء الفكري بمطالعة الكتب الصعبة وذات المواضيع الشائكة. لنقم أولاً بتلطيف اسم الفلسفة بـِ (حب المعرفة) وتحبيب أنفسنا بمختلف أصناف العلوم والمعلومات. فانظروا إلى التغييرات والفروقات التي تحدث في حياتكم عند استخدام عبارات حب الرياضات، وحب الجغرافيا، وحب التصوف، وحب التاريخ. إنك عندما تصنف القراءة التي تُجعل حملاً ثقيلاً خوفاً من الامتحان، عندما تصنفها في صنف "العمل الصالح" فسوف تُدهش من الكنوز الخفية المخبوءة فيها.

اقرأ مثل هذه النصوص الصعبة في فصل الخريف، "حاول التعلم كغير مصدق بلوغ هدفه. كن متوجساً كمن سيفقده". فإنك عندما تقرأ هذه النصوص في حر الصيف، وتقرأها في فصل الخريف ستجد أن بينهما فرقاً في المعنى المتشكل في ذهنك.

للقراءة فصول.

ففصل الشتاء فصل جيد للغاية لقراءة كتب التصوف، والكتب التي تتناول المسائل الاجتماعية. فالمكان البارد والمتجمد يرسخ ويحفظ الوقائع الموجودة في الكتب التي نقرأها. ويمنع من إثارة وتداعي معانٍ مختلفة. وعندما يقرأ الذهن الكلمات بمهارة تحقق المعنى الصحيح فإنه يجعل النتاج ذو قيمة أكبر.

التصوف محيط واسع مترامي الأطراف.

إن مستوى المعرفة الموجود في بلادنا اليوم لا يتلاءم مع ما كان سائداً في الأمس من أسلوب التعبير المعقد والذي بلغ الذروة أحياناً. إذ من الصعوبة بمكان نقل عالم يونس وأمثاله إلى الزمن الحالي.

وإن ما يحفظ القيم القديمة ويبقيها حية هو رقي وسمو مستوى الذكاء. وإذا ما اعتبرنا فصل الخريف هو وقت العودة إلى الجوهر، واصطحبنا كتب الحق والحقيقة فإن جمرات الانبعاث عند تساقطها سوف تتحول إلى بنفسج في عالم قلوبنا.